مجلة

البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخل العدد

- قياس الرأى العام - رؤية إسلامية
- أطر تفسير التحول الاستراتيجى فى التليفزيون الحكومى
- الإعلان وصناعة الإعلام فى العالم العربى - « دراسة وصفية »
- إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة فى دراسة الاتصال الجماهيرى
- العلاقات العامة واتصالات الأزمة «دراسة نظرية تطبيقية»
- الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلى (١٩٦٧ - ١٩٩٤)

العدد
الرابع عشر
أكتوبر ٢٠٠٠م

دار البيان

للطباعة
والنشر
والتوزيع

٤ عمارات الجبل الأخضر

أمام نادى السكة الحديد

مدينة نصر

تليفاكس : ٤٨٢٢٤٨٧

ت : ٤٨٣٤٣٢٧

رقم الإيداع :

٦٥٥٥

العدد الرابع عشر
أكتوبر ٢٠٠٠م

مجلة

البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور: أحمد عمر هاشم

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: محيى الدين عبد الحليم

مدير التحرير

د. محمود عبد العاطى مسلم

سكرتير التحرير

د. أحمد منصور هيبة

المراسلات

توجه باسم الدكتور/مدير التحرير على العنوان التالى:

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام

تليفون: ٥١٠١٤٦٦

هيئة المحكمين
فى هذا العدد

أ.د. جيهان رشتى

أ.د. على عجوة

أ.د. محيى الدين عبد الحليم

أ.د. عدلى رضا

أ.د. حمدى حسن محمود

أ.د. ماجى الحلوانى

أ.د. حسن عماد مكاوى

أ.د. أشرف صالح

أ.د. شعبان أبو اليزيد شمس

أ.د. جابر محمد عبد الموجود

جميع الآراء الواردة فى هذه المجلة تعبر عن رأى صاحبها ولا تعبر عن رأى المجلة

العدد الرابع عشر
أكتوبر ٢٠٠٠م

إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري

«رؤية تحليلية نقدية»

إعداد

د. طه عبد العاطي نجم

مدرس الإعلام بجامعة الإسكندرية

إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري
رؤية تحليلية نقدية

مقدمة:

تعددت الاتجاهات النظرية في على الاجتماع التي تهتم بدراسة الاتصال الإنساني بصفة عامة والاتصال الجماهيري خاصة . وقد ارتبط تفسير هذه الاتجاهات بالتوجهات الأيديولوجية السائدة . حيث يرى أصحاب النظرية البنائية الوظيفية أن الواقع الاجتماعي تحكمه القيم والأفكار والمعتقدات ، بينما يرى أصحاب النظرية النقدية أن هذا الواقع تحكمه كيفية إنتاج أفراد المجتمع لمستلزمات معيشتهم وأسلوب توزيع عائد الإنتاج ونوعية العلاقات المترتبة على ذلك .

ووفقا لهذه الاتجاهات تنظر البنائية الوظيفية إلى الإعلام باعتباره نسقًا من الأجزاء المرتبطة . وتكمن الوظيفة الأساسية له في ربط أجزاء المجتمع وضمان وجود التكامل الداخلي بين أعضائه والقدرة على خلق استجابة لدى الأفراد ، فضلا عن مسئوليته في عملية ضبط السلوك وتوجيه الآراء . أما النظرية النقدية فقد أكدت على مجموعة من القيم التي تسعى إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية . وتركز على دراسة الوحدات الكبرى، حيث تهتم بالنظام الاجتماعي ككل . وتولي أهمية لاستخدام الصفوة للإعلام وكشف أثر سيطرة الحكام على الثقافة وأجهزة الإعلام ومحاولة اقتفاء أثرهم.

أهمية موضوع الدراسة :

تبدو العلاقة الوثيقة التي تربط بين دراسة الاتصال الجماهيري والنظريات السوسيولوجية من خلال افتراضين أساسيين ، يهتم الأول بدراسة دور المؤسسة الإعلامية في إنتاج المعرفة وإعادة إنتاجها وتزويعها من خلال مجموعة من الرموز التي تشير إلى أهميتها في تزويدنا بالخبرة عن العالم الاجتماعي . وتغرس هذه المعرفة لدينا الإحساس بهذه الخبرة، وتشكل إدراكاتنا ، وتساهم في تخزين معرفة الماضي وفهم التيارات الفكرية السائدة. وإجمالا تختلف وسائل الإعلام عن المؤسسات المعرفية الأخرى في عديد من القضايا أهمها : إن العلاقة بين المرسل والمستقبل هي علاقة متوازنة ومتساوية وأن الإعلام يصل إلى معظم الناس بسرعة بالمقارنة بالمؤسسات الأخرى، وبالإضافة إلى سهولة إجراء عملية تشكيل الرأى من خلال وسائل الإعلام ، حيث تتم بطريقة اختيارية وغير محددة ومنخفضة التكاليف. أما الافتراض الثاني

فيتمثل في أن وسائل الإعلام تشغل دوراً توسطيًا بين الواقع الاجتماعي الموضوعي والخبرة الشخصية. ويبرز ذلك في معان عديدة . ومن أمثلة ذلك تدخل القائمين على الإعلام بين جمهور المستقبلين والمؤسسات الأخرى التي نتعامل معها مثل المؤسسات القانونية والصناعية وأجهزة الدولة . ويهتم القائمون على أجهزة الإعلام بضرورة الربط بين المؤسسات المختلفة والأحداث المتعددة (١).

وتوجد مبادئ فلسفية ومعيارية عامة تؤكد العلاقة التي تربط الإعلام بالمجتمع . ويتضح ذلك على المستوى الرسمي وغير الرسمي ؛ إذ توجد روابط بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، حيث تتداخل الوظائف وتتشابك المهام بينهما . وعلى سبيل المثال يتأثر المضمون الذي تقدمه الوسيلة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ، وتتحدد أيضًا حرية الإعلام من خلال التشريعات والقوانين . وكذلك توجد علاقات غير رسمية بين الإعلام والمجتمع . ويأتي ذلك من خلال التفاعل المستمر بينهما (٢).

ونظراً لأهمية العلاقة الوثيقة التي تربط الإعلام بالمجتمع ، رأى بعض الباحثين الغربيين مثل « توني بنت» عدم إمكانية الفصل بين نظريات وسائل الإعلام ونظريات المجتمع . وقد أدت التقسيمات العديدة لنظريات الإعلام وارتباط ذلك بتغير مفهومه ودوره من وقت لآخر ومن مكان إلى آخر - إلى مطالبة العديد من العلماء بضرورة وجود نظرية اجتماعية في الإعلام تستطيع أن تواكب التقدم التكنولوجي وأثره في الحياة الاجتماعية . ويمكن إيجاز العوامل التي دفعت العلماء إلى البحث عن هذه النظرية فيما يلي (٣):

١- انتشار الحرية على نطاق واسع في وسائل الإعلام بالنسبة للقضايا التي تتناولها. وقد لاحظ بعض الباحثين أن لهذه الحرية بعض الأدوار السلبية ، مما نتج عنه تكوين بعض الآراء التي تطالب بتقليل أهمية هذه الحرية .

٢- تعد عملية تغطية الأخبار بطريقة صحيحة وموضوعية هدفا أساسيًا يسعى الإعلام إلى تحقيقه ، ولكن يمكن أن يحدث في بعض الأحيان وجود أخطاء في مصداقية الأخبار مما يؤدي إلى نقد مؤسسات الإعلام من قبل الأفراد .

٣- ربما يكون الموضوع القديم والجديد في الوقت نفسه هو علاقة الإعلام بأمن المجتمع ووجدته ، وقد لوحظ استخدام الدولة وسائل الإعلام في تغطية بعض

الأحداث مثل قضايا العنف والإرهاب والجريمة المنظمة . ومن الأشياء المثيرة للاهتمام قيام الدولة في بعض المجتمعات بتحديد وظيفة الصحافة في تغطية بعض الأحداث ، وممارسة دور رقابي على مؤسسات الإذاعة والتلفزيون .

٤- توجد العديد من الحوارات والمناقشات في كثير من الدول حول الأخلاق والجنس والجريمة والعنف ودور الرقابة المباشرة في الالتزام بالمعايير الأخلاقية . وعلى سبيل المثال تبرز مناقشات عديدة بشأن تحديد حرية الإعلام بهدف حماية المجتمع من التأثيرت الخارجية ممثلة في « البث المباشر » ونتائجه السلبية على حرية المرأة وتغيير العادات والتقاليد السائدة في المجتمع .

٥- من الواضح أنه منذ قديم الأزل ، يبرز دور الإعلام في المجال التربوي والثقافي وفي معظم الفنون . ومن الملاحظ أن معظم مؤسسات الإعلام تتنافس فيما بينها لبهر المشاهد أو القارئ أو المستمع . وحتى تستطيع هذه المؤسسات توصيل رسالتها، تستخدم الإعلانات التجارية كوسيلة مالية لتغطية نفقات هذه الخدمات . ومن هنا يبدو الصراع بين المحافظة على القيم الأخلاقية والثقافية الأصيلة ومحاولة جذب اهتمام الجماهير للوسيلة .

٦- تبرز مشكلة التبعية الثقافية إحدى القضايا التي تواجه المجتمعات النامية ، ولذلك طالبت وجهات نظر عديدة بالتخلص من هذه المشكلة . وتنادي بعض الآراء ضرورة فرض العديد من القوانين والتنظيمات التي تحدد وظيفة كل من الصحافة والتليفزيون ، وإبراز دور الدولة في تحديد نوعية الأخبار . وترك المشاهد يحدد أهمية الموضوعات والقضايا المثارة . وأخيراً تنادي بعض الآراء بضرورة الاهتمام بتكامل الثقافة المحلية وإحكام السيطرة على ملكية وسائل الإعلام وبعض المؤسسات التي تختص بالإنتاج الإعلامي . ويمكن القول أن دور الإعلام يختلف من مجتمع إلى آخر حسب ثقافته وتقدمه . والدليل على ذلك أنه توجد في بعض المجتمعات المتقدمة حرية كاملة بالنسبة لوسائل الإعلام وإبداء الآراء في كافة الموضوعات ولكن في بعض الدول النامية لا يستطيع الإعلام مناقشة بعض الموضوعات وخصوصا قضايا الحكم والسياسة .

مشكلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة تعرف مدى إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة

الاتصال الجماهيري ، باعتبار أن هذا الموضوع لم يلق اهتماما كبيرا لدى الباحثين في الدراسات الإعلامية، بالإضافة إلى ذلك كانت نظريات علم الاجتماع من أولى النظريات الاجتماعية التي استندت عليها الدراسات الإعلامية في بداية نشأتها . ولذلك توجد مجموعة أسئلة هامة تشكل محاور اهتمام هذه الدراسة : السؤال الأول الذي قد يثير جدالاً وحواراً كبيرين هو هل من الأجدى أن يستقل ميدان الاتصال الجماهيري بنفسه كعلم يعتمد على نظريات خاصة به ومناهج تساعد في تحليل قضاياه؟ أم أن يظل ميدانا يدرس ضمن العلوم الاجتماعية الأخرى ، ويستفيد من التخصصات المتعددة تجنبا لوقوع ضحية أطر نظرية أحادية الجانب ؟ وإذا كانت الإجابة بضرورة ربط الاتصال الجماهيري بالتخصصات الأخرى ، ومن بينها علم الاجتماع تحديداً ، فما إسهامات نظريات علم الاجتماع والمعاصرة بوجه خاص في دراسة الاتصال الجماهيري ؟ وما مدى قدرات هذه النظريات على التعامل مع مجالات الاتصال الجماهيري في ظل تكنولوجيا الإعلام المتقدمة ، والتجاوب السريع من قبل الجمهور معها ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة تأتي هذه الدراسة في مبحثين رئيسيين وخاتمة. يناقش الأول علاقة الاتصال الجماهيري بنظريات علم الاجتماع ، ويهتم الثاني بإسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري . وأخيرا تركز الخاتمة على أهم الاستخلاصات والنتائج .

المبحث الأول: علاقة الاتصال الجماهيري بنظريات علم الاجتماع

بداية يجب أن نذكر أن ميدان الاتصال الجماهيري يعتبر حديثًا نسبيا بالمقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى ، وقد ساهمت تخصصات عديدة في نهضة مثل علم الاجتماع وعلم النفس والإدارة والقانون والسياسة وغيرها من العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى بعض العلوم الطبيعية . صحيح أن ميدان الاتصال الجماهيري شهد في ربع القرن الأخير تطوراً كبيرا سواء أكان على مستوى النظرية أو المنهج أو مجالات تخصصاته كعلم يدرس في الجامعات . ولم تقتصر هذه النهضة على العالم الغربي، بل امتدت لتشمل العالم العربي ، وأصبحت هناك كليات للإعلام وأقسام متخصصة تقوم على تدريسه ، وتعتني بإجراء البحوث ورصد الظواهر الإعلامية في المجتمع . وبالإضافة إلى ذلك برزت آراء تنادي بضرورة استقلال علم الاتصال عن العلوم الاجتماعية الأخرى . فقد دعا « محمد البادي» إلى ضرورة جمع المعرفة العلمية المبعثرة الخاصة بظاهرة الاتصال حيث تتوزع على مجالات علمية متعددة كالأنثروبولوجيا والإدارة والهندسة وعلم النفس والاجتماع والفلسفة وغيرها . ويتبنى وجهة نظر تؤكد أن بعثرة علوم الاتصال لها أثار سلبية على تكامل الرؤية وشمولها لظاهرة الاتصال (٤) ولم تكن هذه الدعوة هي الأولى من نوعها ، فقد سبقها دعوة « فاروق أبو زيد»، لكن هذه المرة لاستقلالية علم للصحافة ، غير أنه اشترط إمكانية قيام علم للصحافة تعتمد فيه الدراسات على معايير موضوعية قابلة للضبط الكمي (٥).

وبينما دعت الآراء السابقة إلى ضرورة استقلال الاتصال الجماهيري عن العلوم الاجتماعية الأخرى ، وجدت آراء أخرى معارضة لهذه الفكرة . وتبنى إحداها الفونس زيلبر مان A . SILBERMAN وأودو ميكائيل كروجر U M Kruger في كتابهما « وسوسيولوجيًا الاتصال » . حيث تناول الكتاب في أحد فصوله الموقف النظري لبحوث الاتصال الجماهيري ، عبر فيه المؤلفان عن وجهة نظر تؤكد أن ميدان بحوث الاتصال لم يتطور بعد إلى الحد الذي يمكن أن يعد فيه ميدانا علميا مستقلا بذاته . فهو ما زال يمثل مبحثا علميا متميزا ، أو نقطة التقاء علمية تتقاطع عندها اهتمامات طائفة من العلوم الإنسانية والاجتماعية . ويؤكد الباحثان حقيقة منهجية علمية هامة ، هي أن الدراسة في بحوث الاتصال وعملياته لابد أن تتم بواسطة فريق

متكامل من التخصصات . ويدلل الباحثان علي صحة أفكارهما بأن عدم وجود إطار نظري محكم حتى الآن لعلم الاتصال يضفي مشروعية على هذا التنوع ، وعلى هذا الاعتماد المتبادل بين الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية لعملية الاتصال ، ويفرض على الباحث المتخصص في هذا الميدان أن يأخذها جميعًا في اعتباره عند الملاحظة أو في تفسيره إذا ما أراد أن يتجنب الوقوع ضحية أطر نظرية أحادية أو جزئية (٦) .

ويوافق وجهة النظر السابقة دراسة « سامية جابر» عن الاتصال الجماهيري في المجتمع الحديث (٧) حيث ناقشت علاقة الاتصال الجماهيري بالعلوم الاجتماعية الأخرى ، وأشارت إلى أنه لا يمكن إنكار وجود محاولات عديدة للتفكير في طريقة تأثير وسائل الاتصال في الأفراد والجماعات ، ومجموعة أطر تصورية أو فروض عامة صيغب بصدد مجالات وسائل الاتصال ، كما أن هناك تراكما هائلا للبيانات الإمبيريقية التي تتصل ببعض عمليات الاتصال أو ببعض آثارها ، ولكن ما زال هذا الميدان غير متماسك بعد بواسطة مجموعة من المفاهيم المتطورة أو هيكل من الفروض المترابطة أو صيغة إصار تفسيري شامل .

وفضلا عن ذلك لا يمكن العثور على أية نظريات تتعلق بعملية الاتصال الجماهيري في النظريات المتصلة بطبيعة المجتمع ، وتحظى بالاتفاق يمكن أن تسمى حقيقة « بنظرية الاتصال الجماهيري » . ويبدو من هذه الدراسة أنها توافق دراسة زيلبرمان وكروجر «في تأكيد أهمية دراسة الاتصال الجماهيري ضمن العلوم الاجتماعية . وتستند هذه الفكرة على دعاوى أساسية أهمها أن وسائل الاتصال الجماهيري تعكس طبيعة البناء الاجتماعي والقيم الاجتماعية لمجتمع ما ، في الوقت الذي تقوم به بدورها كهيئات أو أدوات للتغيير الاجتماعي ، بالإضافة إلى ما تتميز به عمليات الاتصال من طبيعة معقدة ، مما ينتج عنه أن وسائل الاتصال تعتبر سببا ونتائج في الوقت نفسه على حد تعبير« سامية جابر » في دراستها .

ويستدل من عرض وجهتي النظر السابقتين بشأن مدى اعتماد الاتصال الجماهيري على نظريات خاصة به ومناهج لتحليل قضاياه ، أن هناك تباينا واضحا في وجهتي النظر . وكاتب هذه السطور يؤيد ضرورة ارتباط الاتصال الجماهيري بالعلوم الاجتماعية الأخرى ، وذلك لأن طبيعة المواد التي تعرضها وسائل الإعلام تتميز

بخاصية أساسية هي أن تفسير هذه المواد وتحليلها ودراسة نتائج تأثيرها في المجتمع لا يستطيع علم بعينه القيام بها ؛ إذ يجب تداخل تخصصات عديدة في دراستها ، بالإضافة إلى أن تكنولوجيا الإعلام الملاحقة قد صعبت في كثير من الأحيان وجود إطار نظري ملائم لملاحقة هذه التطورات التكنولوجية . ولذلك نحن نميل إلى وجهة النظر التي تدعم التداخل القائم بين دراسة الاتصال الجماهيري والعلوم الاجتماعية عامة ،علم الاجتماع خاصة .

وإذا حاولنا توضيح مظاهر العلاقة بين الاتصال الجماهيري وعلم الاجتماع ، فسنجد أن هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تؤكد هذه العلاقة وتنميها غير أن تبادل هذه العلاقة جاء من خلال منظورات أيديولوجية ، بمعنى أنه ذهب فريق من الباحثين إلى تأكيد أهمية النظرية البنائية الوظيفية دون سواها ، واعتبارها مدخلاً وحيدا في دراسة الاتصال الجماهيري ، بينما يوجد فريق آخر يؤكد أهمية النظريات الوظيفية والنقدية معًا . ونظرًا لتعدد الدراسات والأبحاث في هذه القضية سوف نعرض بعضها بإيجاز في السطور التالية .

يذهب الفريق الأول من الباحثين في دراستهم إلى أن إسهام النظرية البنائية الوظيفية من خلال الدراسات الأمريكية أمر لا يساوره الشك . ويرى أصحاب هذا التوجه أنه يرجع الفضل إلى رواد هذه النظرية في تطوير بحوث الإعلام ونظرياته . ومن أمثلة هذه الدراسات كتاب « ملفين ديفلير وساندرا بول روكيتش « المعنون «بنظريات وسائل الإعلام » ، إذ أشار الباحثان إلى أهمية نظرية المجتمع الجماهيري في الدراسات الإعلامية ، وتحدثا عن نظريات التأثير الاختياري ممثلة في نظريات الفروق الفردية ونظرية العلاقات الاجتماعية . واهتما أيضًا بنظريات التأثير غير المباشر ، باعتبار أن وسائل الإعلام تمثل عاملا مساعدا في التطور الاجتماعي للفرد . وناقشا أهمية وسائل الإعلام في بناء المعنى من خلال نظريات التركيب الاجتماعي (٨) . وقد أكدت هذه الأفكار أيضًا « سامية جابر» في دراستها سالفة الذكر ، حيث ذكرته إنه بالرغم من الانتقادات العديدة التي وجهت إلى مفهوم المجتمع الجماهيري ، كان ولا يزال يؤثر تأثيرا فعالاً في تشكيل وجهات نظر العلماء والباحثين في مجال علم الاجتماع بوجه خاص والعلوم الاجتماعية بوجه عام حول المغزى الاجتماعي للاتصال الجماهيري . ويشترك مع التوجه السابق « جيهان رشتي » في كتابها الشهير « الأسس

العلمية لنظريات الإعلام» ، حيث أبرزت أهمية المنظور السيوسولوجي في دراسة الاتصال الجماهيري من خلال نموذجي « تشارلز رايت » و« ملفين ديفلير» . إذ أشار « رايت إلى بعض النقاط النظرية والمنهجية المتصلة بتطور النظريات الوظيفية في دراسة الاتصال الجماهيري وأوضح أن التحليل الوظيفي يهتم بدراسة المهام التي تؤديها وسائل الاتصال الجماهيري باعتبارها من الظواهر التي تؤثر بلا شك في النظام الاجتماعي . «أما » ملفين ديفلير» فيرى أن التحليل الوظيفي يركز على ظاهرة معينة تحدث في نطاق نظام اجتماعي معين ، ثم كشف النتائج التي تساهم بها الظاهرة في استقرار ودوام النظام(٩).

وبالإضافة إلى الدراسات السابقة ، تشترك دراسة « زيلبرمان وكروجر» مع هذا التوجه ، إذ أشارت إلى أن البدايات الأولى لبحوث الاتصال في الولايات المتحدة قد ارتبطت بأعمال علماء كبار مثل « تشارلز كولي » و« جورج هربرت ميد» و« روبرت بارك» ، ولكن البحوث الحقة في الاتصال الجماهيري ارتبطت بعد ذلك بإسهامات كل من « هارولد لازويل » و« بول لازرسفيلد» و« كوتت ليفي » و« كارل هوفلاند » . وبالنسبة « للازويل » فيرجع الفضل الأول في زيادة بحوث تحليل المضمون ؛ إذ أصبحت بعد ذلك ركنا أساسيًا من أركان بحوث الاتصال الجماهيري . أما « بول لازرسفيلد» - عالم الاجتماع الأمريكي النمساوي الأصل - فهو الذي مهد الطريق للبحوث الأمبريقية للاتصال الجماهيري . أما الإسهام الرئيسي « لكارل هوفلاند» فيتمثل في تطوير بعض التحليلات التجريبية في بحوث الاتصال الجماهيري ، ودراسة آثار المضامين الدعائية والاستهوائية التي تبث ودورها في تغيير الآراء (١٠).

ولم تقتصر إسهامات نظريات علم الاجتماع الوظيفية في دراسات الإعلام على تناول دورها وأهميتها . بل حاول بعض الباحثين استخدامها كنظرية وحيدة في تفسير المجتمع . وقد برز ذلك عندما ركز « صالح أبو إصبع» على نظريات التأثير في و سائل الإعلام وقسمنها إلى ثلاث ، تتمثل في نظريات التأثير المحددة والتأثير المعتدل والتأثير القو ي غير أنه عاد وانتقد واقترح نظرية بديلة لدراسة التأثير أسماها « بنظرية الاصطياء»(١١). أما « فلاح كاظم المحنة » فعندما تحدث عن سوسيولوجيا الاتصال ، فقد ركز على نظريات التطور والتنمية الاجتماعية وتأكيد نظرية « ليرنر » الخاصة بالمجتمع التقليدي (١٢).

ويستدل من تحليل الدراسات السابقة أنها تشترك جميعًا في تبني النظريات الوظيفية كمدخل وحيد في دراسة الاتصال الجماهيري في مقابل التجاهل المتعمد للنظريات النقدية . صحيح أن الدراسات الأمريكية ساهمت في تطوير بحوث الإعلام - وإن كان هذا مجال اختلاف بين الباحثين - من خلال إدخال الأساليب الإمبيريقية في دراسة الاتصال الجماهيري ، وكذلك الاهتمام بالأساليب الكمية في تحليل الرسائل الإعلامية عبر تحليل المضمون . إلا أن هذه الإسهامات الواضحة للنظريات البنائية الوظيفة ، لا يمنع الاستفادة من النظريات النقدية .

وبينما اتجه الفريق الأول من الباحثين إلى التركيز على إسهام النظريات الوظيفية في دراسة الاتصال الجماهيري ، ذهب الفريق الآخر ليؤكد أهمية النظريات البنائية الوظيفية والنقدية معًا ، وعلى سبيل المثال اهتم « دينيس ماكويل » في معظم كتاباته ومقالاته (١٣) بالمنظور السوسيولوجي في دراسة الاتصال الجماهيري ، وهو صاحب الكتاب الهام « علم اجتماع الاتصال الجماهيري « Sociology of Mass Communication » حيث أكد أهمية دراسة الاتصال الجماهيري من خلال منظورات متعددة ، فقد تحدث عن نظرية المجتمع الجماهيري ، والمنظور الماركسي والبنائية الوظيفية ، والنظرية النقدية وغيرها من التوجهات المختلفة . ويشترك مع هذا التوجه « جون تومبسون» John B . Thompsom الذي أكد على إسهامات نظريات علم الاجتماع بشكل واضح في دراسة الاتصال الجماهيري . وقام بتصنيف هذه الاتجاهات النظرية إلى ثلاث ، يمثله الأول مدرسة فرانكفورت من خلال الكتابات المبكرة لمنظري هذه المدرسة أمثال « هوركهايمر » و« أدورنو» و« ماركيوز » ، وكذلك» هابرماس » الذي اهتم بتشكيل الاهتمامات العامة . أما الاتجاه الثاني فيمثله « إنييس Ennis وماكلوهان Mcluhan حيث اهتم الأول بدراسة العلاقات التاريخية بين الاتصال والقوة ، والثاني بتحليل ما يسببه الإعلام الإلكتروني من آثار والدعوة إلى ما يسمى « بالقرية العالمية» . وأخيرًا يأتي الاتجاه الثالث وهو التفسيري ، حيث يهتم بتفسير سياق الأشكال الرمزية . ويطلق المفسرون على أنفسهم بأنهم يهتمون بواقع مستقبل المنتجات الإعلامية ، ويزعمون أنهم يولون أهمية لعملية تشكيل الذات ، ويرفض أصحاب هذا التوجه اعتبار المستقبلين مستهلكين مجهولين(١٤).

أما « جون دوينج» John Downing فقد حاول التركيز على مجموعة من

النظريات التي تتباين منطلقاتها الأيديولوجية ، فكما اهتم بتحليل وظائف الإعلام عند تالكوت بارسونتز ، ركز أيضًا على النظرية الإعلامية النقدية ، وقد برز ذلك من خلال تناول إسهامات جرامشي والتوسير وبولنتزاس وتشومسكي وهيرمان (١٥) وواضح أن « دوينج» من الباحثين الذين يهتمون بتوظيف نظريات الإعلام في تحليل واقع المجتمعات ، وقد استفاد من دراساته في تناول موقف نظريات الإعلام من التغيير الحداث في أوروبا الشرقية . واهتم أيضًا « محمد عبد الحميد » بتناول الإطار المؤسسي لوسائل الإعلام من خلال عرض نظريات تبحث العلاقة بين المؤسسات الاجتماعية ونماذجها ، وركز على دراسة البنائية الوظيفية الكلاسيكية ومفومها للإعلام من خلال نظريات « ملفين ديفلير ونموذج هيبرت وزملائه .

واهتم أيضًا بعرض الاتجاهات النقدية وحصرها في مدرسة فرانكفورت والنظرية الثقافية النقدية(١٦). واستمرارًا لهذا التوجه أكدت أيضًا دراسة « سامي عبد الرءوف طايع» ريادة علماء الاجتماع في الاهتمام بوسائل نظريات علم الاجتماع ، حيث بدأت المرحلة الأولى مع بداية اهتمام علماء الاجتماع بدراسة وسائل الإعلام منذ مطلع القرن العشرين إلى نهاية العقد الثالث من هذا القرن وخلال هذه المرحلة بدأ ينظر إلى وسائل الإعلام باعتبارها من المؤثرات الهامة في تكوين الرأي العام والمعتقدات السائدة وتغيير العادات . أما المرحلة الثانية(١٩٤٠- ١٩٦٠) فقد تأثرت الدراسات الإعلامية فيها بالباحثين الأمريكيين الذين اعتمدوا في دراستهم على نظريات علم النفس والبنائية الوظيفية فيما يتعلق بتأثير الإعلام على موضوعات أكثر شمولية تتعلق بعلاقة المؤسسات الإعلامية مع غيرها من المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وتتميز هذه المرحلة بإسهام الاتجاهات النقدية السوسيولوجية في الدراسات الإعلامية (١٧) . ويرى الباحث أن هذه الدراسة تعتبر من أكثر الدراسات التي حاولت إبراز مكانة نظريات علم الاجتماع في الاتصال الجماهيري ؛ إذ حاول سامي عبد الرءوف إيجاد علاقة ارتباط بين نمو البحوث الإعلامية وازدهارها بالنمو والتطور الذي مرت به نظريات علم الاجتماع .

وبالإضافة إلى هذه الدراسات وجدت أيضًا محاولة أشار فيها « حسن عماد مكاوي» و« ليلى حسين السيد» إلى إبراز النظريات الاجتماعية والنفسية في دراسة الاتصال ، حيث اهتما بالنظريات النقدية وكذلك النظريات الوظيفية (١٨). ويبدو أن تناول الباحثين لإسهام نظريات علم الاجتماع جاء في أكثر من موضوع وبطريقة

مختصرة .

ويستدل من تناول الدراسات السابقة على وجود إسهام ملحوظ للبنائية الوظيفية والنقدية معًا في دراسة الاتصال الجماهيري . وقد أشار أغلبية الباحثين إلى هذا الإسهام ، وجاء التناول متوازنا . ونحن نؤيد هذا التوجه ونستمسك به في معالجة علاقة الاتصال الجماهيري بعلم الاجتماع . فكما رفض الباحث من قبل استقلال هذا الميدان عن العلوم الاجتماعية حتى لا يقع ضحية توجه أيديولوجي معين ، ويمكنه الاستفادة من العلوم الاجتماعية الأخرى ، يدعو أيضًا إلى ضرورة استفادة الدراسات الإعلامية من التوجهات النظرية كافة ؛ إذ لا يمكن لنظرية بعينها معالجة المشاكل والظواهر التي تنشأ في المجتمع كافة . وقد أثبتت الدراسات الإعلامية أنها استفادت من هذا التنوع .

وقد برزت إسهامات عدد من علماء الاجتماع في دراسة علاقة الإنتاج الإعلامي بالمجتمع . فقد ركز جانز Gansعلى صناعة الأخبار الأمريكية وتوشمان Tuchman وشيدسون Schudson على التقارير الموضوعية في تاريخ صحافة أمريكا الشمالية . وجولدنج Colding وإليوت Elliott على أخبار التليفزيون في أربع دول . ودراسة تراسي Tracey وشلسينجر Schlesinger على أخبار التليفزيون البريطاني . واهتمت دراسة جونستون Johnstone بقيم التقارير الإخبارية واتجاهاتها .

ويبدو أن معظم الدراسات ركزت على موضوع هام يتمثل في أن الأخبار التي نشاهدها هي بمثابة شكل ثقافي معين لعملية جمع الأخبار ومعالجتها . وتعد ثقافة هذا العمل انعكاس موضوعي للواقع (١٩).

ولم تقتصر دراسة علماء الاجتماع على مضمون الرسالة الإعلامية ، بل امتدت لتشمل تأثيراتها في الجمهور . فقد اهتم هوفلاند Hovlandوجانز Jains بدراسة الإقناع في وسائل الإعلام ، وقام كلمان Kelman بتحديد التأثير الاجتماعي لوسائل الإعلام ، وهايمان Hyman بدراسة التأثيرات الوجدانية للرسالة الإعلامية وفرنش Frensh وريفر Raiver بدراسة ظاهرة تأثير الإعلام في الغرب ، وتوصل العلماء إلى أن الإعلام لا يمارس تأثيراً على الأفراد فقط بل في المجتمع والثقافة معًا ، فضلا عن الاتجاهات التي بدأت تستخدم نظرية الاستخدامات والإشباعات Uses and Gratification .

المبحث الثاني : إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري:

يتبين لنا من تناول علاقة الاتصال بعلم الاجتماع أن هناك علاقة وثيقة تربط بينهما ، وتبرز هذه العلاقة في الدور الذي لعبته نظريات علم الاجتماع ولاسيما المعاصرة منها في الدراسات الإعلامية . وبالرغم من تعدد تقسيمان نظريات علم الاجتماع وتنوعها ، نستطيع حصرها في اتجاهين رئيسيين هما : النظريات البنائية الوظيفية و النظريات النقدية . وقد اعتبرت الأولى الإعلام نسقا اجتماعيا تكمن وظيفته الأساسية في ربط أجزاء المجتمع وضمان استقراره ، بينما اهتمت النظريات النقدية بتحليل وظائف وسائل الإعلام ، وأثر سيطرة للصفوة عليها . وقد انبثقت عن هاتين النظريتين الكبيرتين اتجاهات نظرية فرعية : فانبثقت عن البنائية الوظيفية نظريات التفاعلية الرمزية والفينومينولوجيا وتحليل الثقافة . بينما تفرعت النظرية النقدية إلى ثلاثة اتجاهات فكرية هي مدرسة فرانكفورت والماركسية المحدثة ونظريات إنيس وماكلوهان وسمايث النقدية . وفي الصفحات القادمة نحاول تناول هذه النظريات وموقفها من الاتصال الجماهيري وقضاياه .

أولا : النظريات البنائية الوظيفية ودراسة النسق الاتصالي :

تهتم البنائية الوظيفية بدراسة الإعلام باعتباره إدارة ذاتية هام ، وتصحح نفسها في إطار سياسة معينة وقواعد مؤسساتية . وتظهر خصوصيتها في موضوعيتها وتطبيقاتها العامة . أما عن الجانب السياسي في صياغتها ، فهو يناسب مفاهيم التعددية وحرية الاختيار ، ويناسب أيضًا الآليات الأساسية للحياة الاجتماعية في الاتجاه المحافظ . والإعلام من وجهة نظر البنائية الوظيفية يقصد به الحفاظ على القيم السائدة ، فضلا عن استخدامه كمصدر للتغيير الاجتماعي . وتعد المؤسسة الإعلامية من وجهة نظر البنائية الوظيفية إحدى المؤسسات التي تهتم بتفسير الاتجاهات وأنشطة المؤسسات في ضوء حاجات المجتمع . ويفترض مسبقًا أن « الحاجات» أساسًا هي عملية مستمرة ومنظمة ومتكاملة وتتطلب دوافع وتوجيه وتكييف . وينظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الأجزاء المرتبطة أو الأنساق الفرعية . ويشكل الإعلام أحد هذه الأجزاء . وتتطلب الحياة الاجتماعية للتنظيم استمرار المحافظة عليه وثبات واكتمال صورة أجزاء المجتمع (٢٠) . وتركز نظرية الأنساق عموما على الطبيعة التكاملية . وتكمن الوظيفة

الأساسية للإعلام في ربط أجزاء المجتمع والتفاعل المجرد بين المرسلين والمستقبلين .

ويستخدم التكامل بين أجزاء النسق بطريقة يعتمد فيها كل نسق على الآخر بهدف إحداث التكامل الداخلي بين أعضاء المجتمع والقدرة على خلق استجابة لدى الأفراد ، فضلا عن مسئوليته في عملية الضبط وتوجيه سلوك الأفراد (٢١).

ولقد بدأت إسهامات علماء الاجتماع الوظيفيين بمقالة عن « وسائل الإعلام وبناء المجتمع الأمريكي» وكتبت أساسا سنة ١٩٦٠ ونشرت في كتاب « بارسونز » البناء السياسي والاجتماعي سنة ١٩٦٩م.

وصنفت بعد ذلك ضمن تخصص علم اجتماع وسائل الإعلام Sociology of Mass Media ولاقت هذه المقالة اهتماما كبيراً عندما هاجم« سي . رايت ميلز C . Wright Mills بارسونز في تحليلاته للإعلام والثقافة في كتابه « صفوة القوة» ، خاصة عندما قدم منظوراً مشابهًا سماه « المجتمع الجماهيري » Mass Society . (٢٢)

واستمر اهتمام أصحاب الاتجاه الوظيفي بالإعلام ووسائله ، إذ قدم كل من « ديفلير» Defleur وبول روكيتش Bol Rokeach وبارسونز و« وايت» تحليلا لدور الإعلام في المجتمع الأمريكي . فهم يفترضون أن هذا المجتمع توجد به ثلاثة أنساق هي : الاقتصادي والسياسي والإعلامي . وهدفوا من تحليلاتهم إلى تفنيد فكرة ازدياد الانحلال الثقافي الذي تعاني منه الولايات المتحدة نتيجة سيطرة الشركات الكبرى العاملة في صناعة الإعلام على الرأي العام ومحاربتها الأفكار النقدية . وقد ركزت تحليلاتهم على مجموعة من الأفكار تدعم جميعها فكرة أساسية تتمثل في أن الحرية التي يتميز بها المجتمع الأمريكي أفضل من القمع المتزايد الذي يدعو إليه منظروا المجتمع الجماهيري . ويؤسسون تحليلاتهم على أن المواطن الأمريكي في ظل النظام السياسي المتبع ربما يفاضل بين الأحزاب والسياسات أو بين الإنجازات السياسية التي تحققت بشأن تخفيض الضرائب والقيادات السياسية . وفي حالة النسق الإعلامي يفاضل جمهور وسائل الإعلام بين نوعية كبيرة من الوسائل والبرامج ومضامين مختلفة ومستويات متعددة فضلا عن مميزات الوسيلة في التزويد السريع للجمهور بالمعلومات (٢٣).

وبالرغم من أهمية تحليلات بارسونز وزملائه واجهت البنائية الوظيفية بعض

الصعوبات في افتراضاتها النظرية يتعلق بعضها بالجانب الثقافي والآخر السياسي ، وتتمثل هذه الصعوبات في الارتباك الذي يحدثه مفهوم « وظيفة » Function كمصطلح ، فيمكن أن يستخدم بمعنى «غرض» Purpose أو « نتيجة» Conspuence أو «متطلب» Requirement أو « توقع » expectation ، وترتبط معان أخرى بهذا المفهوم . وإذا طبقنا ذلك على وسائل الإعلام ، نجد أن مصطلح « وظيفة الأخبار» يمكن أن تشير إلى ثلاثة أشياء منفصلة . فالإعلام يحاول إخبار الناس (غرض) ، ويتعلمون من خلال الوسيلة (نتيجة) ، ويفترض أن الوسيلة تخبر الناس (متطلب أو توقع) . وتوجد التباسات كثيرة محتملة ، ولكن التباين في المعنى يعتمد عادة على وجهة النظر التي يتبناها الباحث ، وسواء كان الأمر يتعلق بالمرسل أو المستقبل أو الملاحظ المحايد أو المشرع . وتظهر صعوبة أخرى هي أن الإعلام ليس وحده الذي يؤثر في السلوك ولكن توجد أيضًا جماعات أو تنظيمات ، ولذلك يصعب تمييز وظيفة الإعلام عن وظائف الأجهزة الأخرى المتمثلة في الحكومات والأحزاب والشركات(٢٤).

ولقد واجهت البنائية الوظيفية بعض صعوبات تتمثل في أن هناك فرصة ضعيفة لإثبات التأثير الطويل المدى للوسيلة ، وربما يكون تأثيرها مفيداً أو ضاراً ، ولا نستطيع إثبات ذلك بواسطة نتائج البحوث الإمبيريقية . ونظراً لهذه الصعوبات التي واجهت كلاسيكي الوظيفية في افتراضاتهم النظرية ، دعا مجموعة من علماء النفس الاجتماعي أمثال « هربرت بلومر » و« تشارلز كولي» وأصحاب الاتجاه الفينومينولوجي والأثنوميثودولوجي إلى ضرورة تكوين بناء فكري يستطيع استكمال مهمة الاتجاهات الكلاسيكية . وعرفت اتجاهاتهم بما يسمى بالبدائل النظرية التي اهتمت بنقد الاتجاه الكمي والإحصائي ، واتجهت نحو دراسة الحياة اليومية وعلاقات التفاعل بين الأفراد ، وظهرت نظريات أخرى تهتم بكيفية بناء الأفراد لمعانيهم الذاتية ونمط استخدام وسائل الإعلام ، وتأثيرها في حياة الفرد والمجتمع . وفي الصفحات القادمة نحاول تناول موقف هذه النظريات من الإعلام ووسائله ودوره في المجتمع .

١- التفاعلية الرمزية والسلوك الاتصالي :

يعتبر علماء التفاعلية الرمزية (٢٥) من أوائل الباحثين الذين نظروا للعمل الاجتماعي ووضعوا تساؤلات عن كيفية تعلم الثقافة واستخدامها ، وقد تطورت

نظريتهم في العشرينيات والثلاثينات كرد فعل للنظرية النقدية في الاستجابة للمثيرات. وبالرغم من أن « جورج هربت ميد » -أحد مؤسسي هذه النظرية- صاغ أفكاره في الثلاثينات ، لكن ظلت التفاعلية الرمزية حتى السبعينيات والثمانينيات مستبعدة من أبحاث الاتصال الجماهيري ، ويرجع ذلك إلى اعتماد « ميد» على تفسير التفاعل وتغاضيه عن الوسيلة . ومن الغرابة أيضًا بطء المنظرين الإعلاميين في الاهتمام بهذه الأفكار . وقد أعد مايكل سولمون Michael Solomon » ملخصا لعمل «ميد» وخاصة عن مدى أهميته في البحث الإعلامي ويتركز في : (٢٦)

١- يتم تعليم الرموز الثقافية من خلال التفاعل ، وحينئذ تكون الوسيلة أداة تفاعل.

٢- تنطوي المعاني المشتركة للناس على وسائل ثقافية يتعلمها الأفراد ، وبالتالي تكون قادرة على التنبؤ بسلوكيات الآخرين في هذه الثقافة .

٣- التأكيد على أهمية العوامل الاجتماعية في تشكيل الذات ، حيث تتحدد إلى حد كبير من خلال التفاعل مع البيئة .

وتتضح أهمية التفاعلية الرمزية لدارسي الاتصال في كتاب « الاتصال والسلوك الاجتماعي : منظور التفاعلية الرمزية » حيث قام بإعداده كل من « دون. ف . فالس » Don F . Faules و«دنيس سي . الكسندر» Dennis C . Alexander سنة ١٩٧٨ . وفي هذا الكتاب أسسا تحليلاتهما على تعريف الاتصال باعتباره « سلوكا رمزيا ينتج بدرجات مختلفة لمعايير وقيم مشتركة بين المشاركين » وقدما ثلاثة افتراضات أساسية تنهض عليها أبحاث التفاعلية الرمزية والاتصال وهي (٢٧) :

١- يعتمد فهم الناس للبيئة وإدراك ما يحتويها على الاتصال ، وبمعنى آخر : إن ما نعرفه عن عالمنا هو نتيجة لخبراتنا الاتصالية السابقة إلى حد كبير في هذا العالم . وهذا يوافق فكرة« سولومون» عن التفاعل والرموز الثقافية . وقد ذكر كل من «فالس» و«الكسندر» أن الاتصال يسمح بنقل الأفكار المبهمة بدون خبرة شعورية . فالإعلام هو المصدر الأو ل للخبرة غير المباشرة ولهذا السبب يبرز تأثيره في تركيب الواقع الاجتماعي.

٢-يقوم الاتصال بدور المرشد،ويأتي ذلك من خلال توجيه مفاهيم الذات والدور والموقف.وتعد هذه المفهومات نتاج خبراتنا في البيئة لكن يكمن الاختلاف في

استخدام الاتصال في مواضع مختلفة ترتبط بفهمنا لأنفسنا والآخرين في هذه المواقف.وهذا يشابه النقطة التي أشار إليها« سولون»عن تعلم الثقافة والتنبؤ بسلوك الآخرين.

٣- يتكون الاتصال من تفاعلات معقدة تتضمن الفعل والاعتماد المتبادل والتأثير المتعدد وعلاقات الأفراد وظروف الموقف . وقد أوضح كل من « فالس » و«الكسندر» أن تذكرنا وفهمنا لعالمنا ومكاننا يتم من خلال التفاعل والتوحد مع رموز الإعلام .

وتبرز أهمية التفاعلية الرمزية أيضًا في دراسة الاتصال من خلال اهتمامها بفكرة تبادل التفاعل الاجتماعي ، واستخدام المعاني المشتركة كأساس للتفسير الفرد للعالم الموضوعي . فقد اقتنع « تشارلز كولي» بأن الناس لا يستطيع بعضهم الانتساب إلى بعض على أساس صفاتهم الموضوعية كما هي موجودة في الواقع ، بل من خلال « الانطباعات » باسم « الأفكار الشخصية » ، فنحن نكون « فكرة شخصية » عن كل شخص نعرفه . وبمعنى أشمل نكون « فكرة شخصية » أيضًا عن الناس في قطاعات مختلفة إذا نظرنا إلى كل منها كجماعة . وكان « كولي» مقتنعًا بأننا نشارك في التفاعل الاجتماعي مع الآخرين لأننا نستطيع تكوين « نظائر مماثلة» للأشخاص الحقيقيين في عقولنا . ونحن نستخدم « الفكرة الشخصية التني نحللها عن كل منهم كقاعدة للتنبؤ بسلوكهم ، كما أننا نستخدم أيضًا هذه الانطباعات للتنبؤ بسلوك الآخرين الذين يبدون مشابهين لهم . ويرى « كولي» أنه يجب أن تكون لدينا « فكرة شخصية» تفصيلية أيضًا عن أنفسنا ، وهو ما أطلق عليه « مرآة الذات » ، حيث توجد مرآة اجتماعية نرى فيها الناس يقبلوننا أو يرفضوننا ، وهكذا كانت نظرية البناء الاجتماعي عند « كولي » نوعًا من « العضوية العقلية» التي ترى الجماعات والمجتمع الإنساني كنظام من الأفكار الشخصية مضافة إليه فكرة شخصية عن النفس يولدها كل شخص كتركيبات داخلية وذاتية للمعاني (٢٨) . ويمكن القول أن إسهام رواد التفاعلية الرمزية في تطوير أبحاث الاتصال انطلق من المقولة التي أكدها « ميد» أن الفرد والاتصال والمجتمع يتداخلون بدرجة غير عادية.

ويستدل مما سبق أن نظرية التفاعلية الرمزية تركز محور اهتمامها حول نقطة أساسية تتمثل في أن الاتصال هو شرط أساسي لحدوث التفاعل الاجتماعي . فاتصال الفرد

بالآخرين هو الذي يحدد طريقة تفاعله معهم وكذلك فإنه يحدث نتيجة هذا التفاعل . ويعتبر الاتصال هو المصدر الأول للخبرة غير المباشرة ، ويبرز دوره في توجيه الفرد وتعريفه بيئته ، وإدراك مجتمعه . وقد برزت أهمية نظرية التفاعلية الرمزية في الوقت الراهن للباحثين الإعلاميين ، خاصة بعد انتشار الوسائط المتعددة وتداخل وسائل الإعلام في تأدية وظائفها . الأمر الذي جعل الباحثون يتناولون تأثير هذه الوسائل في عملية التفاعل الاجتماعي . وبرزت أسئلة عديدة ، هل ساعدت التكنولوجيا المتقدمة في وسائل الإعلام على اندماج الفرد في المجتمع العالمي ؟ وما مدى تأثيرها في علاقة الفرد بأسرته وأصدقائه بل على تفكيره ؟ وما عوائق الاتصال ؟ وهل تتعلق بالحالة النفسية للمرسل أم بظروف المستقبل أم بالنسبة للرسالة ذاتها وما تحويها من معلومات؟ أم بسبب ظروف الحياة اليومية التي يعيشها الفرد وما يحدث فيها من تغيرات باستمرار؟ . وكل هذه الأسئلة وغيرها فتحت الباب أمام منظور آخر يتكامل مع منظور التفاعلية الرمزية ولا يختلف معه ، حيث يحاول منظروه فلسفة حياة الإنسان وتفسير معاني هذه الحياة بطريقة علمية .

٢- النظرية الفينومينولوجية وبناء المعاني :

توجد علاقة وثيقة بين تركيب اللغة والطريقة التي يستخدم الناس بها هذه اللغة لإثارة المعاني في داخلهم . وبدأ في منتصف القرن التاسع عشر إجراء دراسة متخصصة لمختلف اللغات المستخدمة ، حتى يمكن فهم المبادئ العامة لكيفية نقل المعاني عن طريق الأصوات والكلمات ونظائر المفردات . وقد أدى ذلك إلى محاولات لإعادة تركيب اللغات القديمة ، حيث حول علماء اللغات أبحاثهم إلى الماضي البعيد وأجروا تحليلات استغرقت زمنا وجهدا طويلين للأشياء التي أطلقت عليها أسماء ، ولقواعد ترتيب الكلمات في أقدم اللغات ، وبهذه الطريقة تمكن علماء اللغات من إعادة تركيب بعض أجزاء أقدم لغة في العالم أو أم اللغات ، والتي تفرعت منها اللغات المعروفة في العالم القديم . (٢٩)

ويتألف علم اللغات أساسا من البحث المنظم لثلاث نواح للغة ، مما يساعد على فهم كيفية استخدام الشعوب للاتصال ونقل المعاني . وأول ميادين البحث هو دراسة الأصوات phonology وهي التي تستخدم لتركيب الكلمات ، ويهتم الثاني بتركيب الجمل Syntactics ، حيث يستخدمها الإنسان لنقل معان أكثر مما تحمله

معاني كل كلمة وحدها ، وأخيراً يوجد ميدان دراسة المعاني في اللغة وتطور الدلالات عبر التاريخ الذي يهتم ببحث الارتباط بين الكلمات أو الرموز الأخرى وما تشير إليه من معان ، أي مختلف نواحي الواقع التي تحل محلها هذه الكلمات(٣٠).

ولقد بدأت المناقشات العلمية المبكرة المنظمة عن التركيب الاجتماعي للواقع من خلال أفكار قدمها « الفريد شوتز» Alfred Schutz ، فكان مفتونا بما لاحظه من غموض واقع الحياة اليومية ويتسائل كيف يكون إحساسنا بالعالم من حولنا بالدرجة التي نستطيع أن نقيم أفعال حياتنا اليومية ونرتبها ، وللإجابة على هذا السؤال استخدم « شوتز » النظرية الاجتماعية التي تطورت في أوروبا وهي النظرية الفينومينولوجية،(٣١) . واعتمد على أفكارها . وقد اهتمت هذه النظرية باستخدام الشعور العام في الحصول على تفسيرات تهدف إلى التعرف على واقع الحياة اليومية(٣٢).

وتدعي الفلسفة الفينومينولوجية أن إمكانياتها تكمن في فلسفة حياة الإنسان في العالم ، والقدرة على تفسير معاني هذه الحياة العالمية بطريقة علمية صارمة . فالموضوعات التي تهتم بها هي شرح الأفعال الواعية وتفسيرها . وتدعو الفينومينولوجيا إلى البساطة في تعامل الإنسان مع الأحداث الطارئة ، والبساطة في التفكير والتركيز في العمل الذي نقوم به . ويرى « الفريد شوتز» Aalfred Schutz أن الفينومينولوجيا هي علم النفس الاجتماعي للمعرفة يتم من خلالها تفسير حياة العالم ، وهي محاولة لوصف كيف تظهر هذه المعرفة . وكانت أهم فكرة في نظرية المعرفة عند « شوتز» هي « التمثيل » أو « التصوير» Typification . ولذلك يعد التمثيل أمراً ضروريا من أجل تنظيم الأحداث والأفعال التي نصادفها في الحياة وتفسيرها . ويمكن أن يحدث التمثيل لسببين هما تعلم الإنسان من تاريخه ، والسبب الآخر أن الإنسان اجتماعي ، والسببان متداخلان فالإنسان منا له أصدقاؤه ووالداه ومدرسوه . ولا يملك الفرد خبرة فردية خالصة ، فخبراتنا أساسا هي خبرات اجتماعية ، ولا يمكن تنحية أو تجنب صفة الاجتماعية عنها (٣٣) .

ويرى المنظور السائد في الاتصال الجماهيري أن الوسيلة تعتبر المحور الرئيسي لتمثيل المعتقدات المشتركة ، فضلا عن أنها مجرد عملية لنشر المعلومات ، وهذا يناقض المنظور التحولي الذي يرى أن الوسيلة هي أداة لنقل المعلومات ، وعادة ما يكون

الغرض منها هو التحكم ، بينما يوجد السخط على وسائل الإعلام ، ويمثله نموذج التأثيرات المحددة الذي بدأ ينمو في السبعينيات والثمانينيات ، ويتركز بوضوح في نظريات الاتصال . ومع التوجه الاجتماعي بدأ الاهتمام بهذا المنظور . وتمثل التفاعلية الرمزية إحدى النظريات التي تستخدم المنظور السابق ، حيث تفترض أن خبراتنا عن الواقع تعد تركيبة اجتماعية ، فعندما نتعلم معاني معينة من الرموز ، فهي تنعكس بالإيجاب على خبراتنا (٣٤) .

ويفترض التركيب الاجتماعي للواقع أيضا أن الناس يستجيبون للمعاني عندما يستخدمون الرموز والإشارات ، فهي التي تشكل المخزون الاجتماعي للمعرفة ، وبواسطتها تحدث التفاعلات بين الناس وبيئاتهم .وقد شملت نظرية «جوفمان» Goffman إطارا لكل من أصحاب نظرية التفاعلية الرمزية ونظرية التركيب الاجتماعي للواقع ، حيث أثبتت أن قدرتنا على الاختيار المستمر للأشكال المناسبة لتوجيه إدراكنا ، قد تجعلنا نشعر بما اكتسبناه من خبرات(٣٥).

ولقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة تركيب المعنى عند الإنسان ، والعلاقة بين كل من اللغة والمعنى والواقع . وكان الهدف من ذلك هو تحليل كيف يكتسب الناس تحديدات مشتركة لمعاني الأشياء بما في ذلك قواعد الحياة الاجتماعية . فالمعرفة موجودة على شكل مفاهيم ، وهي تركيبات لها أسماء أو تصنيفات للمعاني التي يتذكرها الأشخاص . ويستطيع الشخص الحصول على معاني المفاهيم إما عن طريق الاتصال الحسي المباشر بالنواحي المختلفة للواقع أو من خلال التفاعل الرمزي بين الجماعات التي يتستخدم اللغة .وتشكل رموز اللغة التي يستخدما شعب معين عاملا هاما في تفسير سلوكه تجاه عالمه المادي والاجتماعي (٣٦) .

وتخلص نظرية التركيب الاجتماعي للواقع إلى تأكيد أن خبراتنا عن هذا الواقع تنمو باستمرار ، وتنقل إلى جمهور بواسطة السلطة أو الصفوة . ويناقض هذا القول بشدة كلا من نظرية المجتمع الجماهيري ومنظور التأثيرات المحددة ، إذا تصور نظرية المجتمع الجماهيري الواقع المؤلم الذي يعيش فيه الناس وتسيطر عليه الديماجوجية ،أما منظور التأثيرات المحددة فيركز على نقل الأفكار والمعلومات للكشف عن جزء من نشاط الجمهور المفترض ، إذ يستخدم أعضاء الجمهور الرموز الإعلامية للتعريف بالبيئة والأشياء الموجودة بها ، ولكن تنعدم أهمية هذه الأنشطة إذ لم يشارك الآخرون فيها (٣٧) .

ويستدل مما سبق أن النظرية الفينومينولوجية قد حاولت استخدام وسائل الإعلام في تفسير واقع الحياة اليومية ،حيث تهتم الفنومينولوجيا بدراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمعات بوصفها أساسًا للحياة الاجتماعية ، وتعتبر هذه النظرية هامة للباحثين الإعلاميين المعنيين بضرورة اندماج الرسالة الإعلامية في المجتمع، حيث تكمن الوظيفة الأساسية للإعلام في التعبير الموضوعي للواقع الاجتماعي ، وبحث احتياجات الناس والتعبير عن قضاياهم ومصالحهم . إذ يعتبر الإعلام جزءا من الواقع الاجتماعي ، لكن ما نلاحظه وجود انفصال بين ما يقدم في وسائل الإعلام وحياة المواطنين .

٣- نظرية تحليل الثقافة ونمط استخدام الوسيلة :

يبدأ الأطفال توجيه انتباههم إلى مشاهدة التليفزيون وهم في عمر الثالثة . وقبل بداية التحاقهم بالمدرسة يكونون علاقات مع أقرانهم ويتعلمون أسماء عديدة لشخصيات تليفزيونية ، ويستمتعون ببرامج معينة . وفي بداية المرحلة الابتدائية يشاهدونه غالبا ما يقارب من ثلاث ساعات في اليوم ، وفي عمر الثالثة عشرة يشاهدونه أربع ساعات وبمرور السنوات وبعد نهاية الدراسة الثانوية - وهم في عمر المراهقة - يقضون معظم وقتهم وهم يشاهدون التليفزيون . فهم يفضلونه عن ممارسة أى نشاط باستثناء فترة النوم . وهذا يعني أنهم يقضون معظم الوقت مع التليفزيون بالمقارنة باتصالهم بأصدقائهم .

وأصبحت وسائل الإعلام المعاصرة تسيطر على كل اتصالات حياتنا اليومية ، حيث تبدأ في تقديم المعلومات الحيوية للأطفال وهم في سن العاشرة ، وتزودهم بمعلومات عن ثقافة جماعة الأصدقاء وخاصة ما يتعلق بالجنس المقابل . وفي عمر الشيخوخة تقل معدلات التحركات الفيزيقية للناس ، فيلجأون إلى التليفزيون ليقدم لهم النصيحة والتسلية (٣٨) .

ونظرًا لزيادة أهمية وسائل الاتصال الجماهيري في الوقت الراهن أصبحت عاملا أساسيا في تشكيل واقع الحياة اليومية التي يعيشها الناس . وقد بدأ الحديث عن استخدام وسائل الإعلام كنظم ثقافية منذ أن أشار « جمس كاري» (James Carey)١٩٧٥ عن أهمية نقل الثقافة في كتابه Geertz's the Interretation of cultures وقد أكد هذا الكتاب على تداخل العلوم الاجتماعية . وأصبح بعد

ذلك مرجعا كلاسيكيا للباحثين في مجال الاتصال ، وكان بمثابة حجر زاوية ساهم في تحول بحوث الاتصال إلى الجانب التفسيري . وقد استخدم نظام الرموز في تأدية الرسالة ، وتميزه بأنه قوة مؤسساتيه يستطيع تحريك الدوافع وتشكيل الاتجاهات ، ولديه القدرة أيضًا على صياغة المفاهيم للنظام القائم ، وأخيرا لديه قدرة غير عادية في تحفيز المواطنين (٣٩) .

ولقد أصبحت وسائل الإعلام هي الأولى التي تمدنا بكثير من الخبرات أو نتعلم منها كثيرا من مظاهر الحياة من حولنا . ومع تقدم وسائل الإعلام ، اختفت كثير من أشكال الثقافة الشعبية ، حيث اختفت القصة المروية والموسيقى المؤداة باختفاء الأسر الممتدة ، وحلت محلها الأسر النواة التي تتجمع أمام وسائل الإعلام المعاصرة وترى نظرية المجتمع الجماهيري أن هذه التغيرات التي أحدثتها وسائل الإعلام في حياتنا سوف تنذر بالخطر ؛ لأن ثقافة هذه الوسائل تفترض بأنا يجب أن نكون تابعين لثقافة الصفوة. وبينما تنتشر الثقافة الجماهيرية ، يخشى المنظرون من تأثيراتها في تقويض النظام الاجتماعي وإحداث خواء ، وتدمير حياة الناس . وظهرت هذه الخطورة عندما احتكر النظام الاجتماعي في الثلاثينات جميع موارد الدولة ، وعلى سبيل المثال كانت تستخدم الوسيلة في المجتمعات الشيوعية والفاشية لنشر الجديد ، وتبحث عن أشكال ثقافة الاحتكار ، ولكن أصبحت الوسيلة مؤخرا هي المسئولة عن عمليات الإبداع والترفيه . وخلال الستينيات انتهت أهمية نظرية المجتمع الجماهيري . وفي الولايات المتحدة تبنت معظم الأبحاث الاجتماعية منظور التأثيرات المحدودة لأن الإعلام نادراً ما يكون المنتج منه له دلالة لإحداث تغيير في تفكير الأفراد وأفعالهم على المدى الطويل . وأصبح الإعلام الأمريكي له فاعلية قوية في الترويج للرأسمالية والفردية والمشروعات الحرة . ويرى بعض النقاد أن تكنولوجيا الاتصال الجديدة مثل الكمبيوتر الشخصي تتجه أساسًا نحو الفردية واقتصاديات السوق بالمقارنة بالجمعية وسيطرة الدولة . ولذلك يبدو أن دور الإعلام في الثقافة قد اكتمل(٤٠).

وإذا حاولنا نعرف وسائل الإعلام العربية تجاه الثقافة نجد أن هناك تباينا في الآراء إذ ذهبت بعضها إلى تأكيد العامل الإيجابي الذي لعبته في نشر المعلومات وزيادة الاتصال والتواصل بين الشعوب والتصدي لعمليات الغزو الثقافي التي تمارسها الدول المعادية . أما الرأى الآخر فيذهب إلى القول بأن وسائل الإعلام ساعدت على نشر

الثقافة المبتذلة ، وتقدم مواد إعلامية تافهة وسطحية تعتمد على الإثارة والتشويق بدلاً من التعمق والتفكير ، كما ساعدت على نقل الثقافات الغربية المبتذلة التي تركز على الجنس والعنف . ويرى الباحث أن وسائل الإعلام العربية معنية بوظائف عديدة منها حماية الهوية الثقافية العربية والإسلامية وغرس الولاء والانتماء لدى الشعوب وزيادة التقارب بينها . وتستطيع وسائل الإعلام تحقيق هذه المهام وغيرها بفضل تأثيراتها المتعددة وإمكانياتها الهائلة .

وبالرغم من انتهاء نظرية المجتمع الجماهيري ، تركت بالتأكيد آثارها على أبحاث التأثيرات . ومع نهاية الحرب الباردة برزت تساؤلات عن دور وسائل الإعلام في الثقافة ، ونما عدد من الأفكار الجديدة ، وجددت النظريات القديمة نشاطها ، ويكشف بعضها عن دور الإعلام في إعادة تشكيل نمط الحياة اليومية بالنسبة للموضوعات الهامة والأساليب الحديثة . وتصف الأبحاث هذه التغيرات وتحاول إقناعنا بها . ويهتم الباحثون بما تقدمه وسائل الإعلام للمستهلكين . ويستخدم مصطلح « تحليل الثقافة Culture Analysis » ليشير إلى هذه النوعية من الأفكار (٤١).

وقد اهتمت دراسات الإعلام بتحليل أنماط الثقافات ؛ إذ قام كل من مولتوش Molotch وليستر Lester بدراسة الأخبار باعتبارها سلوك مقصود . وأعد « تيشمان Tuchman دراسة على المؤسسات الصحفية . وأجرى « لايول Lull دراسة عن الاستخدامات الاجتماعية للتليفزيون ، وتسائل فيها عن دور الإعلام وخصوصا التليفزيون ، في حياة المجتمع ، حيث تستخدمه الأسر وتتفاعل معه بطريقة اعتيادية . وقد هدف « لايول » من دراسته التعرف على أنماط التفاعل والاتصال القائمة في حياة الإنسان الطبيعية بالمنزل (٤٢) . وبالإضافة إلى هذه الدراسات الغربية برزت في الوطن العربي أيضًا عدة دراسات اهتمت جميعها بدور الإعلام وخاصة القنوات الفضائية في خدمة الثقافة العربية الإسلامية . واهتمت دراسة زكي الجابر المضمون الثقافي والإعلامي في القنوات العربية ، وكذلك دراسة محمد طلال عن الثقافة الموجهة للأطفال والشباب في القنوات العربية ، وغيرها من الدراسات الأخرى التي تهتم بدور الإعلام في تشكيل ثقافة الحياة اليومية (٤٣) .

وتتجه نظرية تحليل الثقافة إلى دراسة الوحدات الصغرى Microscopic وتركز على نمط استخدام الناس للوسيلة ، وجعلهم يحسون بأنفسهم والعالم من

حولهم ، والكشف عن النتائج المترتبة على استخدام وسائل الإعلام في حياتنا اليومية . وتتجاهل هذه النظريات تأثير السياسة الاجتماعية . وتتجه في دراستها نحو الاهتمام بالجوانب غير النقدية . وتعتبر نظرية تحليل الثقافة أقل اهتماما بنتائج تأثير المدى الطويل للإعلام ، ولكنها أكثر اهتماما بالبحث عن تأثير الإعلام في حياة الفرد . ويطلق على هذه النظريات بالمستوى « المايكرو» لأنها تؤكد قضاياخاصة بالنظام الاجتماعي تتضمن تساؤلات عن الحياة اليومية للناس . ويفهم باحثو الثقافة المايكروسكوبية العالم الاجتماعي بأنه مكان ساحر لا نهاية له . ويعتبرون أن خبراتنا في الحياة اليومية تعتبر بمثابة بناء غير طبيعي يحافظ على وجوده بالصدقة . ويحاولون تأكيد دور وسائل الإعلام في توحيد الناس خلال حياتهم اليومية بطريقة متواترة ودون وجود تمزقات (٤٤).

وهكذا نجد أن نظرية تحليل الثقافة قد أكدت دور الإعلام في تشكيل الثقافة ، وذلك بما لها من تأثير في تشكيل الواقع الاجتماعي وتغييره . وقد اشتركت المنظورات التحليلية للثقافة والمنظورات النقدية في تطوير أساليب جديدة لكشف تأثير الإعلام في الثقافة وتنمية هذه الأساليب ، وعملا علي تطوير بناء نظري متكامل ، وأكد أهمية الإعلام في تشكيل وجهات نظر الناس عن أنفسهم وبيئاتهم الاجتماعية . وكلاهما يفترض أن الإعلام أصبح الوسيلة الأساسية التي تعلم الناس وتجعلهم يشتركون في ثقافة عريضة . وأثبتا أن الإعلام يمارس تأثيرا فعالا في النظم الاجتماعية المعاصرة .

وبعد تناول موقف نظريات البنائية الوظيفية من دراسة النسق الاتصالي ، نستطيع القول أنه بالرغم من الإسهامات الواضحة لهذه النظريات في إبراز أهمية الاتصال وعملياته في المجتمع ، لكن تبرز أوجه قصور في تطبيق افتراضاتها النظرية . وعلى سبيل المثال ، اعتبرت البنائية الوظيفية « الإعلام إدارة ذاتية ، ويقصد به الحفاظ على القيم السائدة .. » فهذه مقولة صحيحة ، لكن ما يحدث في أرض الواقع شيء مختلف، بالرغم من استقلال الإعلام في بعض الدول عن الحكومات ، لكنه لم يستقل عن هيمنة بعض الأفراد والشركات . أما بالنسبة « للحفاظ على القيم » ، فهذه أفكار ليس لها وجود سواء في المجتمعات الليبرالية أو المحافظة . ولقد اهتمت « التفاعلية الرمزية» بدراسة الاتصال من خلال التركيز على أهميته في التفاعل الاجتماعي ، لكن ما نلاحظه أن وسائل الإعلام تسعى إلى تعميم روح الفردية والانعزالية وزيادة حالات

الاغتراب بين أفراد المجتمع بدلا من غرس روح الانتماء وإبراز القيم الجماعية . وقد زعم الفينومينولوجيون » أن نظريتهم تعتبر الوسيلة هي المحور الرئيسي لتمثيل المعتقدات المشتركة . فضلاً عن أنها معنية بالتعبير الموضو عي عن احتياجات الناس وقضاياهم ، إلا أن الواقع يؤكد غير ذلك ، فوسائل الإعلام معنية بطريقة أساسية بالحفاظ على وضع الأنظمة الحاكمة - خصوصًا في مجتمعاتنا العربية - حتى وإن كان ذلك على حساب مصلحة الجماهير . وأخيراً اهتمت نظرية « تحليل الثقافة» بالتركيز على نمط استخدام الناس لوسائل الإعلام في حياتهم اليومية . ويبرز الواقع أن هناك فرصة ضعيفة لإثبات التأثير طويل المدى للوسيلة ، وربما يكون تأثيرها مفيداً أو ضاراً ، ولا نستطيع إثبات ذلك حتى بواسطة البحوث الإمبريقية .

ونخلص مما سبق إلى أنه بالرغم من الإسهامات الواضحة لنظريات البنائية الوظيفية في دراسة الاتصال الجماهيري ، إلا أنها تعاني من أوجه قصور على مستوى التنظير وعلى مستوى الواقع . وقد برز ذلك في الانتقادات العديدة التي وجهت إلى منظريها بشأن المفاهيم المتداولة والقضايا التي تناقشها والأسس التي ترتكز عليها فضلا عن تجاهلهم لوسائل الإعلام وتركيزهم فقط على ما تحدثه من تأثير فقط . وبرز أيضًا في التباين الواضح بين هذه الافتراضات النظرية والواقع الفعلي .

ثانيًا : النظريات النقدية ودراسة الاتصال الجماهيري :

تفترض النظريات النقدية أن البحوث الاجتماعية ينبغي أن تركز على مجموعة من القيم مثل الأهداف المثالية ، ويكون هدفها إرشاديا وتسعى إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية ، وغالبا ما تهتم النظريات النقدية بفحص مشكلات اجتماعية محددة ، مع تحديد مصادرها ، ثم التوصية بحلولها . وينتمي معظم أصحاب هذه النظرية إلى حركات اجتماعية يكمن هدفها الأساسي في محاولة إخراج الافتراضات النظرية إلى حيز التنفيذ . وأحيانًا ما تقوم بتحليل مؤسسات اجتماعية محددة . ولقد أصبحت وسائل الإعلام والوسائل الثقافية مجال اهتمام هذه النظريات . وعلى سبيل المثال ، اهتمت النظريات النقدية بعلاقة الإنتاج الإعلامي بالمشكلات الاجتماعية . وقد تبنت دراسات الثقافة النقدية منظورا شاملا في دراسة الواحدات الكبرى ، حيث تهتم بالنظام الاجتماعي ككل . وتركز على استخدام الصفوة للإعلام ، وكشف نتائج استخدامهم له ، وتأثير ذلك في المحافظة على قوتهم . ويتميز الباحثون الذين ينتمون

إلى دراسات الثقافة النقدية بأن لهم نشاطا سياسيا ، ويبذلون جهداً في تشكيل السياسة الاجتماعية . ويرجع ذلك إلى انتمائهم إلى بيئاتهم الاجتماعية ، باعتبارهم قادة وينتمون إلى حركات اجتماعية قائمة . وعلاوة على ذلك يفسرون القيم المستخدمة في تقييم الوضع الراهن (٤٥).

وقد ركزت النظرية النقدية الإعلامية والنظرية النقدية الثقافية على قضايا القوة والصراع والتغيير . وتبدو هذه المنظورات عند كل من « جرامشي » و« التوسير» و«وبولنتزاس poulantzas وأدورنو وهوركهايمر ومنظورات الدراسات الثقافية ممثلة في فكر كل من « ريموند ويليامز Raymand willams وهيرمان Herman وتشومسكي Chomsky ، حيث اهتموا جميعا بمفاهيم الثقافة وأمبريالية الإعلام والعولمة . ويعتبرون الإعلام قوة موجهة ، ويهدف في النهاية إلى فهم الواقع الاجتماعي (٤٦).

وترجع الأصول الفلسفية للنظرية النقدية إلى الماركسية الكلاسيكية . فبالرغم من أن ماركس نفسه لم يعرف الإعلام قبل أن يبرز التأثير المعاصر لوسائل الإعلام ، من الممكن أن نحلل الوسائل المعاصرة طبقا لأفكاره . إن الإعلام يعني وسائل إنتاج والتكيف مع نمط عام لشكل الصناعة الرأسمالية وظروف الإنتاج وعلاقاته . ومن المرجح أن يشكل احتكار الطبقة الرأسمالية لوسائل الإنتاج عاملا أساسيا في الترويج لأفكارها والتعبير عن مصالحها . ويحاولون - أصحاب الطبقة الرأسمالية - أيديولوجيا نشر أفكارهم والتقليل من شأن الأفكار التي تدعو إلى التغيير أو تنمية وعي الطبقة العاملة ، ومنع عمليات تعبئة مثل هذا الوعي في إطار أحزاب أو أنشطة سياسية معارضة(٤٧).

وعلى الرغم من أن أصحاب النظريات الإعلامية المعاصرة طالبوا بإصلاح النظام الاجتماعي يرجع الفضل إلى ماركس ، حيث كان المحرك الأول الذي نادى بخلق مجتمع جديد ، مجتمع تلغى فيه الطبقات ، وينهض فيه العمال ضد أصحاب رءوس الأموال ، ويطالبون بوضع نهاية للسخرة ، ويتحدون معا لخلق مجتمع ديمقراطي عادل. وقد اعتقد ماركس أن الحكام سيطروا على المجتمع من خلال هيمنتهم على وسائل الإنتاج . وظل الحكام في موقع القوة من خلال سيطرتهم على « الثقافة» أو«التركيبة الاجتماعية» . ونظر إلى الثقافة باعتبارها شيء يمارسه الحكام ليضللوا الطبقات العاملة

حتى يعملوا ضد مصالحهم أنفسهم . وأوضح ماركس أن الأمل الوحيد في التغيير الاجتماعي هو قيام ثورة تتحكم فيها الشعوب ، وتبسط سيطرتها على مقاليد الأمور ممثلة في وسائل الإنتاج والتركيب الاجتماعي والأيديولوجي . ووجد ماركس أن ترتيب التركيب الاجتماعي وإصلاحه قد يؤدي إلى ثورة اجتماعية بطريقة تدريجية(٤٨).

وللنظريات النقدية مصدر مختلف آخر ، وهو النقد الإنساني للنصوص الأدبية والدينية . وقد تخصص الإنسانيون في تحليل النصوص المكتوبة منذ عصر النهضة . وكان هناك هدف موضوعي وراء ذلك هو تحقيق هذه النصوص ذات القيمة الثقافية العظيمة وترجمتها حتى يتسنى للآخرين فهمها وتقييمها . وكانت هذه النصوص بمثابة قوة حضارية في المجتمع . واستخدم النقد لتدعيم هذه القوة . وقد حاول أصحاب « الحركة الإنسانية» العمل على تحقيق مبادئ النظرية اللاهوتية وحفظها ، وركزوا على التوراة وكتابات علماء اللاهوت . واهتموا أيضًا بالأعمال الأدبية الدنيوية ، وحرصوا على تحقيق مجموعة من الحقائق الفنية الثقافية التي تضم الموسيقى والرسم والأدب والشعر . وبتحقيق هذه النصوص وتوضحيها ، حاول « الإنسانيون» - أصحاب الاتجاه الإنساني- جعلها أكثر يسراً لمزيد من الناس ، وكان هدفهم هو الحفاظ على المستوى الثقافي والعمل على تدعيمه ورفعه ، وذلك لنشر التحضر بين الناس . وبمضي السنين ظهرت طرق عديدة مختلفة من التحليل الأدبي تهتم بتحليل النصوص المكتوبة مثل تحليل المحتوى الإعلامي (٤٩).

ويتضح من عرض الأسس النظرية التي انطلقت منها النظرية النقدية أن الماركسية الكلاسيكية وأصحاب الاتجاه الإنساني في دراسة الأدب قد أسهما بطريقة فعالة في تأسيس هذه النظرية ، حيث تفرعت منها مدارس نقدية في دراسة الأدب قد أسهما بطريقة فعالة في تأسيس هذه النظرية ،حيث تفرعت منها مدارس نقدية عديدة ، نحاول إلقاء الضوء على مدرسة فرانكفورت ونظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام وأخيرا نظريات « أنييس » و« مارشال ماكلوهان» و« سمايث».

مدرسة فرانكفورت والدراسات الثقافية :

ينتمي عمل مدرسة فرانكفورت (٥٠) إلى الاتجاهات الماركسية ، لأنها تهتم إلى حد كبير بالتاريخ لكنها تركت ميراثا ثقافيا هاما لا يمكن تجاهله . ويمكن أن نطلق على

هؤلاء المنظرين النقديين ، أصحاب المنظور الثقافي ؛ إذ بدأوا أعمالهم في ألمانيا الغربية، ثم تشتتوا مع قدوم النازية ، وذهبوا بصفة رئيسية إلى الولايات المتحدة . وركزوا اهتمامهم على الفشل الواضح لثورة التغيير الاجتماعي التي تنبأ بها ماركس ، وأرجعوا هذا الفشل إلى البنية الفوقية - وخصوصا وسائل الإعلام - وتجاهل العمليات التاريخية للتغيير الاقتصادي . وتؤكد هذه النظرية أن السيطرة الاقتصادية الأيديولوجية الطبقية تأتي مشروطة بالأساس الاقتصادي من خلال عمليات استمالة الطبقة العاملة وتدميرها . وتؤكد النظرية النقدية أيضًا اعتماد الشخص والطبقة على التصورات التي تطبعها وسائل الإعلام في أذهانهم . وقد أعطى « ماركيوز» مسمى «البعد الواحد» one dimentional للمجتمع الذي توجد فيه ثقافة من صنع محترفي السياسة والرأى العام (٥١) .

وقد رأى « ماركيوز » المجتمع الصناعي عالما تسوده الكلية الاستبدادية لأن لديه القدرة على القضاء على أي محاولة لمعارضته ونفيه،وتجميع القوى الاجتماعية التي يمكن أن تعارضه وتذويبها ، فضلا عن القضاء على استثمار جميع طاقات الإنسان الجسدية والروحية وجميع القوى الاجتماعية للذود عنه وحمايته . ويرى « ماركيوز » أن وسائل تزييف الوعي في المجتمعات الصناعية المتقدمة قد تعاظم خطرها في الآونة الأخيرة وذلك بفعل التكنولوجيا ، حيث تلعب الآلة دورًا سياسيا بارزًا في هذه المجتمعات . فبعد أن كان مطلب الطبقات الكادحة هو السعي نحو التغيير ورفض النظام ، أصبح مطلبهم الأساسي هو تسيير المشاريع لا تغيير النظام . وتلعب ثقافة المجتمع التكنولوجي دورًا هامًا في أحادية تفكير الإنسان ، فمن خلال القدرة الهائلة لتكنولوجيا الاتصال الجماهيري ، أصبحت لديها القدرة على التخفيف من حدوث التناقض بين الواقع الثقافي والواقع الاجتماعي من خلال دمج قيم الأول بالثاني وإعادة توزيعها على نطاق تجاري واسع . وأيضًا في مجال اللغة نجد لغة أحادية الجانب تستبعد من تراكيبها ومفرداتها كل الأفكار والمفاهيم النقدية ، فهي لغة سلوكية ، بلاتاريخ وبلا أبعاد (٥٢) .

ويبدو أن تزييف الوعي الذي تمارسه وسائل الإعلام لا يقتصر على المجتمعات الرأسمالية التي تحدث عنها « ماركيوز» . فإذا نظرنا إلى واقع مجتمعاتنا العربية ، نجد أساليب متعددة ومتنوعة لعمليات التزييف تمارسها الحكومات من خلال تبعية الأجهزة

الإعلامية لسلطتها ، وتمارسها الشركات المتعددة الجنسيات من خلال فرض نمط إعلامي معين . وتبرز عمليات التزييف في التضليل الإعلامي الذي أصبح سمة أساسية في إعلامنا العربي . ولا يقتصر التضليل على قلب الحقائق أو إخضاعها ، ولكن بتقديم الحقيقة مبتورة أو مشوهة . وتتعد أشكال عمليات التضليل التي تمارسها وسائل الإعلام المختلفة سواء أكانت صحافة أو إذاعة أو تليفزيون . وتوجد دراسات عديدة في هذا الصدد توضح دور وسائل الإعلام في تزييف الوعي والأساليب التي تستخدمها .

ويبدو إسهام أعضاء مدرسة فرانكفورت في دراسة الاتصال الجماهيري من خلال اهتمامهم بنقد وسائل الإعلام التي تحاول إعادة إنتاج الفن العظيم القديم مثل طبع الروايات العظيمة في أشكال ملخصة أو مسلسلة .ويرون أن مثل هذه العمليات صرفت الناس عن البحث وشراء المصادر الحقيقية للثقافة العالمية ، وعندما أجبر أعضاء هذه المدرسة على الخروج من ألمانيا خلال الحرب النازية ، توجهوا إلى الولايات المتحدة وكرسوا جهدهم للتحليل النقدي للثقافة النازية ، والطريقة التي قوضت الثقافة العالمية وأضلتها . ومن وجه نظرهم أن الثقافة النازية قد اختلطت وطحنت بثقافة مصطنعة مزيفة ، قام بخلقها وممارستها هتلر وجهازه الإعلامي . وكان « ادورنو» واحداً من الأعضاء القلائل لمدرسة فرانكفورت الذين شاركوا الباحثين الأمريكيين. وشملت اتصالاته الأمريكية المبكرة « بول لازار سفيلد» الذي أقنع مؤسسة الإعلام في كولومبيا بتمويل بعض أبحاث « أدورنو» . وتميز عمله بالأسلوب الجدلي ، فكتب نقداً لاذعا لبرامج الراديو الأمريكي . وقام بقيادة فريق بحث لدراسة اتجاهات المواطنين نحو النظام الحاكم ومدى احتمال انتشار النازية . وبالرغم من أن هذا البحث كان مبدعا وطموحا ، واجه كثير من المشكلات النظرية والمنهجية خاصة في تطوير المصطلحات لقياس الاتجاهات (٥٣) .

وفي نقد للنظام الرأسمالي يرى « أدورنو» أن هذا النظام ما زال يولد شعوراً بعدم الأمان الاقتصادي . وأي نسق اجتماعي يستبعد القدرات الإنسانية الأساسية يخلق شعوراً بعدم الأمان . والشعور بأننا نملك قوة لا يمكننا استخدامها هو شعور مدمر . لذا فقد هيئت الثقافة العامة لإنتاج شعور بديل هو في حقيقته شعور زائف بالأمان والاستقرار . وهو شعور فعال رغم زيفه ، ويتم خلق ذلك الشعور الزائف بتوحيد

المواصفات القياسية لمنتجات الثقافة ، حيث تحاول وسائل الثقافة الشعبية - من التمثيليات التليفزيونية العاطفية إلى أغاني الشباب المتداولة إلى النشاطات الرياضية - كل بطريقتها التركيز على بث الاطمئنان . وتبدو على هذه المنتجات المتشابهة (النمطية) مسحة فردية زائفة . وعلى هذه الشاكلة يمكننا أن نتجادل دون جدوى عن أي الأغاني الشعبية أفضل ، أو عن أحسن فريق كرة القدم ، بمعنى أن نتجادل وتختلف عن فروقات مصطنعة دون أن نعلم أننا نكتسب إحساسا زائفا بالأمان بفعل التشابه الكامن بين هذه الأشياء (٥٤).

وقد اشترك « أدورنو » و« هوركهايمر » في أحد الأعمال التي تعتبر إسهامًا عظيما في مجال الإعلام عنوانه « الاتصال والثقافة والسيطرة » حيث ركزا على عقد مقارنة بين الثقافة والدولة النازية في الأربعينات والثقافة والسيطرة « حيث ركزا على عقد مقارنة بين الثقافة والدولة النازية في الأربعينات والثقافة ، والاقتصاد الضخم في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الراهن . وقد أدركا أن هناك تشابها ملحوظا بين النظامين . وبرز هذا التشابه ليس على مستوى التسلط العسكري فقط ، بل برز أيضًا موقفهما من أي تفكري مستقل ومقاومتهما له من خلال الإعلان والثقافة الجماهيرية . وذكرا في تحليلهما أن هذا التوجه يقضي على أي تفكير نقدي (٥٥) .

ولقد تميز أعضاء مدرسة فرانكفورت بمنظور فريد في البحث الاجتماعي . فقد رأى « هابيرماس» أن الأسس المعيارية للنظرية الاجتماعية يمكن أن توجد في الفهم الصحيح للفعل الاتصالي . إذ يرى أن كل فعل اتصالي يحمل معه مبررات شرعيته . وقد قام هابيرماس بتحليل عملية الاتصال ذاتها مساهمة مباشرة منه للنظرية الاجتماعية النقدية في مجال الإعلام (٥٦) . وقد عرفت نظريته باسم « الفعل الاتصالي The Theory of communication Action وتتلخص هذه النظرية في أن الفعل الاتصالي هو ما يجب أن نفعله ؛ إذ يجب أن ندرك أن ما نفعله نحن كأفراد ، ويتم ذلك طبقا لاهتمامات اتصالية مجتمعية . ويتميز الفعل الاتصالي عن أشكال الأفعال الأخرى ذات الاهتمامات الذاتية ، إذ يهدف إلى العقلانية(٥٧).

وبالإضافة إلى اهتمام « هابيرماس» بالفعل الاتصالي ، فقد أشار إلى مفهوم المجال عام public Sphere الذي يهتم بتقييم الشئون المعاصرة والسياسة العامة . وركز هابيرماس في تحليلاته على قوة تأثير وسائل الإعلام في تشكيل الرأى العام ؛ إذ يعد

الرأي العام من أكثر القضايا التي تشغل الحكومات . وأشار أيضًا إلى أن الدعاية والإعلان أصبحت سلعًا تستغلها الحكومات والشركات في حماية مصالحها وتحسين صوتها (٥٨) .

ويستدل من تحليل أعضاء مدرسة فرانكفورت في الإعلام أنهم نظروا إليه من منظور أيديولوجي ، حيث تأثروا بالماركسية في تحليلاتهم . وقد برز التباين الأيديولوجي بين نظريتي تحليل الثقافة والدراسات الثقافية النقدية واضحًا ، فقد اتجهت الأولى إلى دراسة الوحدات الصغرى Macro بينما اهتمت الثانية بدراسة الوحدات الكبرى Maney ، وتركز نظرية تحليل الثقافة على نمط استخدام وسائل الإعلام في كل حياتنا اليومية وعلى جانب آخر تتبنى الدراسات الثقافية النقدية منظوراً شاملاً في دراسة الوحدات الكبرى ، فهي تهتم بدراسة النظام الاجتماعي ككل ، وتبحث في نتائج استخدام الصفوة للإعلام .وواضح من أعمال منظري مدرسة فرانكفورت في الإعلام أن هناك تغير ملحوظ في آرائهم بشأن أهمية الإعلام ووسائله . وعلى سبيل المثال أكد هابيرماس على أهمية الإعلام في تشكيل الاتجاهات ، باعتباره يلعب دوراً محوريًا في عملية التحول من النظم الاستبدادية إلى النظم الديمقراطية الحرة . ويعتبر هابيرماس الإعلام أداة نقدية للرأي العام ، فهو بمثابة سمة أساسية للديمقراطية المعاصرة . وفضلا عن ذلك برزت إسهامات هربرت ماركيوز عن دور الإعلام في تشكيل إنسان أحادي البعد ، وكذلك أورنو وهوركهايمر عن الاتصال والسيطرة الثقافية ، باعتبار أن الإعلام يمثل عاملاً أساسيًا في صناعة الثقافة وتوجيهها .

٢- الماركسية المحدثة ونظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام :

تنطلق الماركسية المحدثة من الإطار التصوري والمنهجي للماركسية الكلاسيكية . وتأتي حداثتها من أنها تعيد قراءة الماركسية ، فتحاول إظهار مسار عمل القوانين النوعية للتطور الاجتماعي ، ومن خلال المعطيات التي يفرزها الواقع الاجتماعي المتغير. ويتميز موقفها بالأسلوب النقدي والراديكالي . وقدم مؤسسوها « جرامشي » و« لوسيان جولدمان» و« فرانز فانون » - معطيات وحقائق ، لكنها لم تخرج عن الإطار المعرفي والأيديولوجي للنظرية الماركسية الكلاسيكية (٥٩) . وقد قسمت الماركسية المحدثة إلى مدارس هامة ومتعددة وتعد الدراسات الثقافية البريطانية ونظرية الاقتصاد السياسي أهم هذه المدارس . إذ حاولت الأولى الدراسات الثقافية

البريطانية- ربط النظرية الماركسية بأفكار ومناهج بحث ناتجة عن مصادر متنوعة تضم النقد الأدبي واللغويات والأنثروبولوجيا والتاريخ . وحاولت هذه النظرية أن تتبع أثر سيطرة الحكام التاريخية على الثقافة ومحاولة اقتفاء أثرهم ، ونقد الآثار الاجتماعية لهذه السيطرة . وركزت أيضًا على دراسة ثقافة جماعات الأقلية(٦٠) .

لقد بدأت إسهامات « جرامش » في الدراسات الإعلامية عندما رفض مفهوم المادية الاقتصادية للماركسية ، وتقديمه منظوراً إنسانيا لها يركز على ذاتية الإنسان . وقد ارتبط إسهامه أساسًا بتطويره لمفهوم السيطرة ، حيث كان يسعى إلى إعادة تحديد طبيعة القوة في المجتمعات الصناعية ، والتوصل إلى معرفة المستويات المختلفة للوعي السياسي والثقافي . ويرى « جرامشى» أن مصادر القوة في المجتمع تتركز في يد عملاء الصحف والرأي العام . ويذكر « بولنتاز » poulantzas أن السيطرة عنده -جرامشي» تمثل سيطرة إحدى الكتل الاجتماعية على مر التاريخ ، أو طبقة فوق الأخرى . ووفقًا « لجرامشي » توجد طبقة مسيطرة عادة في كل مجتمع تحاول كبح كل تفكيروسلوك نقدي ظاهر حتى لا يتعارض مع مصالحها . وبالإضافة إلى هذه الطبقة المسيطرة توجد طبقات تابعة (هامشية) تحاول دائما إثبات وجودها وشرعيتها . ولذلك يستمر الصراع بين الأيديولوجيتين في محاولة لفرض ثقافة معينة . والسيطرة عند « جرامشي لا تعني ببساطة فرض شيء معين فقط ، ولكن تظهر في نجاح طبقة معينة في إقناع الطبقات الهامشية بقبول الثقافة المسيطرة ، وفي الوقت نفسه تتشربها وتتبناها ، حتى يحدث ما يشبه « الإجماع . consensus . ويرى « جرامشي » أن الطبقات المسيطرة تستخدم الثقافة الجماهيرية في إقناع الطبقات الأخرى من خلال صناعة الإعلان (٦١) .

ونستطيع أن نتعرف مظاهر السيطرة التي أشار إليها جرامشي في عالمنا العربي بأكثر من طريقة . فقد نجحت وسائل الإعلام على سبيل المثال في الترويج للأفكار والقيم الغربية وإقناع الجماهير بها من خلال المسلسلات والأفلام والأغاني ، في مقابل التجاهل المتعمد وتسطيح الثقافة العربية الإسلامية . والمدهش في هذا الأمر هو تبني قاعدة كبيرة من هذه الجماهير لهذه القيم باعتبارها نمطًا في سلوك حياتهم اليومية . وأصبحت هي النموذج الذي يتبع ، وإذا حاولت جماعة في أي مجتمع الخروج عن هذا النمط ، قد تتهم بالتخلف والرجعية . ويعتبرهذا نموذجًا من مفهوم « السيطرة » الذي قصده « جرامشي » ، لكن توجد نماذج متعددة وتمارسها مؤسسات مختلفة .

وتعتقد « رينا مستري Reena Mistry أن نظرية « جرامشي » تعد نقطة هامة في كشف التمثيلات العرقية في مجال الإعلام ؛ لأنها تركز على الثقافة والأيديولوجية، وعلى خلاف النظريات الماركسية في السيطرة . إذ يتجاهل جرامشي العوامل الاقتصادية ، ويركز على دور المثقفين في هذه العملية . وفي الواقع يشكل التلفزيون والسينما مركزا أساسيا للثقافة الشعبية ، حيث ركزت مقاولات جرامشي على واقع الحياة اليومية وقيم الشعور العام في محاولة لتحديد آليات الهيمنة . ويسود اعتقاد بأن صور التلفزيون والسينما التي تستحوذ على الشاشات الغربية أنها نوع من أشكال الهيمنة (٦٢) .

ويمكن القول إنه بالرغم من ندرة كتابات جرامشي في الإعلام ، قدم إطاراً عاما لتحليل الثقافة والقوة في إطار الأدوار التي يمكن أن يؤديها الإعلام بيسر . ويتجاهل هذا الإطار نظريات الإعلام الأمريكية خصوصا النظريات التي اهتمت بدور الدولة .

وامتدادا لهذا الفكر تتبع « جرهام ميردوك» Graham Murdock نهضة الثقافة البريطانية أثناء عقدي الستينات والسبعينات ، حيث رأى أن معظم وأهم أصحاب هذه المدرسة - الدراسات الثقافية البريطانية - كانوا ينتمون إلى الطبقات الدنيا . وانتقدوا الأيديولوجية القائمة ورفضوها صراحة نظراً لهيمنة ثقافات الطبقة العليا على مجموعات الأقليات . وكان « ريموند ويليامز » Raymond Williams أحد رواد المدرسة البارزين ، وكان ناقداً أدبيا حقق سمعة طيبة بإعادة تطوير الحركة الثقافية في إنجلترا . أما « ستيورت هول » Stuart Hall فقد اهتم بتحليل وظائف الإعلام ، وأوضح أنه يمكن فهمها كمنتدى عام تكافح فيه قوى مختلفة لتشكيل الأفكار الشعبية عن حقيقة المجتمع . وفي هذا المنتدى ، يتم تداول الأفكار الجديدة ، وترسم خطوط جديدة بين العوالم الاجتماعية المتنوعة . وعلى العكس من الماركسية التقليدية ، لم يهتم « هول » بالسيطرة التامة للحكام على المنتدى الثقافي . فإن الحكام من وجهة نظره ليسوا بحاجة إلى القوة لتقديم اهتماماتهم . ولم تكن الثقافة المعروضة . واعترف « هول» بإمكانية فشل الحكام في النهوض بأيديولوجيتهم ، بينما تنجح جهود أصحاب التخطيط السليم بتنمية الإبداعات البديلة . ومع ذلك فإن المميزات التي يتمتع بها الحكام تمكنهم من البقاء مدة أطول في السلطة(٦٣) .

وقد أنتجت الدراسات الثقافية البريطانية أبحاثا متنوعة عن محتوى الإعلام

الشعبي، بل أثرت على الأبحاث الأمريكية ، وخاصة النسائية منها وكذلك على دارسي الثقافة الشعبية . ويعد البحث الذي قدمته « جانيس رادوي » Janice Radway سنة ١٩٨٤ أحد أفضل النماذج للتعبير عن أفكار الدراسات الثقافية . وأوضحت «رادوي» في تحليلها للمحتوى الشعبي للقصص الرومانسية أن شخصياتها وحبكاتها ناتجة عن الأساطير التي يفترض فيها أن سيطرة الرجال في الترتيب الاجتماعي طبيعية وعادلة . فالرجال يقدمون بصفة روتينية على أنهم أقوياء ،معتدون ، بينما النساء ضعيفات وسلبيات ، وليس لديهن الاستقلالية . ويجب علي المرأة أن تنال هويتها من خلال مشاركتها مع الرجال . وبعد أن انتهت « رادوي » من تحليل محتوى مجموعة من القصص الرومانسية ، قررت سنة ١٩٨٦ أن تقابل النساء اللاتي كن يقرأن هذه القصص بانتظام ، وكانت مندهشة لأن كثيرا منهن استخدمن هذه الكتب كجزء من التمرد ضد سيطرة الرجل ، فكن قرأنها كشكل من الهروب من أعمال المنزل أو تربية الأطفال . ورفض كثير منهن هذه الأساطير ، وعبرن عن تفضيلهن للقوة الجسمية للرجل مع الرقة . وكذلك فضلت القارئات المرأة القوية التي تحتفظ بصفاتها النسائية التقليدية (٦٤) .

ويعتبر عمل « رادوي » اتجاها هاما في الدراسات الثقافية النقدية ، حيث اكتفى الباحثون الأوائل بدراسة محتويات وسائل إعلامية معينة ، واستخلاص مجموعة من النتائج المبنية على نظرياتهم . أما الأبحاث الجديدة مثل بحث « رادوي » فهو يدمج التحليل النصي مع بحث المشاهدين . ويشجع على انتشار هذا النوع من الأبحاث . ولم يقتصر انتشار هذا النوع من الدراسات على الغرب فقط ، بل انتقل إلى العالم العربي . وبرز اتجاه جديد في المدرسة الإعلامية المصرية يؤكد ضرورة إدماج دراسات تحليل المضمون مع الدراسات التي تهتم بوظائف الإعلام وتقييم الرسالة الإعلامية .

نظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام :

تعد نظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام من المسميات القديمة التي ظلت باقية كي تثبت منظورا يركز على البناء الاقتصادي ، فضلا عن المضمون الأيديولوجي للإعلام . وتؤكد هذه النظرية تبعية الأيديولوجية للأساس الاقتصادي . ويتجه اهتمام بحثها إلى التحليلات الإمبيريقية لبناء الملكية وأسلوب قوى السوق الإعلامي . ومن خلال هذه النقطة تعتبر المؤسسة الإعلامية جزءا من النسق الاقتصادي مع ضرورة الارتباط بالنسق

السياسي .، ويمارس الإعلام هيمنة كبيرة على المعرفة والمجتمع عمومًا ، ويستطيع أن يكون إلى حد كبير سببا في تبادل القيم بين الناس في ظل ظروف ضغط السوق والمصالح الاقتصادية للمالكين واتخاذ القرارات . وترتبط هذه المصالح بالحاجة إلى الكسب (الربح) خلال عمليات الإعلام(٦٥) .

وتكمن القوة الأساسية لهذه النظرية في قدرتها على إجراء افتراضات إمبيريقية قابلة للاختبار عن محددات السوق . وبالرغم من توافر هذا الإجراء لم يكن تحديده إمبيريقيًا بالأمر السهل . وبينما تركز هذه النظرية اهتمامها على الوسيلة - باعتبارها تقود العمليات الاقتصادية إلى السلعة، يوجد اهتمام بمنظور الاقتصاد السياسي الذي يفترض أن الإعلام منتج جماهيري حقيقي . وفي هذا المعنى يوجهون انتباه الجمهور إلى الإعلانات التي تشكل سلوك الجماهير بطريقة معينة متميزة (٦٦) .

ويهتم أصحاب نظرية الاقتصاد السياسي بسيطرة الحكام على المؤسسات الاقتصادية كالبنوك والأسواق وتحكمهم فيها . ويحاول هؤلاء الباحثون توضيح تأثير هذه السيطرة على مؤسسات اجتماعية أخرى منها وسائل الإعلام . ويهتم الاقتصاديون السياسيون أيضًا بدراسة دور الاقتصاد في تشكيل الثقافة التي تنتجها وسائل الإعلام ؛ فهم لا يهتمون كثيرا بالبحث عن كيفية تأثير الثقافة في مجموعات محددة أو شرائح مختلفة ولكنهم يهتمون بشكل أكبر بفهم أسلوب السيطرة على عملية الإنتاج ، ويبحثون عن أسباب سيطرة بعض الأشكال الثقافية على أوقات التليفزيون دون غيرها (٦٧) .

وربما كانت المحطات الفضائية العربية خير نموذج يبرز فيه تأثير الاقتصاد في الإنتاج الثقافي والإعلامي . فعندما خرجت بعض المحطات بعيدا عن عباءة بعض الحكومات، وتخلصت من سيطرتها ، وجهت بسيطرة المال وأصحاب شركات الدعاية والإعلان ، حيث أصبحت هناك برامج عديدة تبث مواد إعلامية منافية للأخلاق والقيم والتعاليم الدينية برعاية الشركات المعلنة . ولم يقتصر هذا الأمر على برامج معينة ، بل تجد المحطة بجميع برامجها واقعة تحت سطوة مؤسسيها من رجال المال والاقتصاد لخدمة مصالحهم . وأصبحت هذه السمة أمرًا عاديا ويتقبله الناس ، بل وتجد من ينبري للدفاع عنها .

وعلى الرغم من أن مدرستي النظرية الماركسية المحدثة - الدراسات الثقافية

البريطانية ونظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام - تظهران على أنهما متكاملتان ، إلا أن هناك أمورا جديرة بالذكر تثير التنافس بينهما . فتوجد بعض الاختلافات الجوهرية تفصل بين الاثنين ، وتختلفان أيضًا في مناهج بحثهما والنظام الأكاديمي الذي تأسستا عليه . ورغم تركيزهما على المؤسسات الاقتصادية وادعاءاتهما المستمرة أن السيطرة الاقتصادية تؤدي حتما إلى السيطرة الثقافية ، يختلف أصحاب الاقتصاد السياسي في فهم تأثير التغيرات الثقافية على المؤسسات الاقتصادية ، حيث لم يدركوا تنوع الثقافة الشعبية أو اختلاف الطرق التي يتعرف الناس بها على المحتوى الثقافي . واقترح «ميردوك» أن مدرستي الماركسية المحدثة والاقتصاد السياسي ينبغي أن تتعاونا بدلا من التنافس . ولكي يحدث هذا يجب على الباحثين أن يتخلوا عن بعض فروضهم ويدركوا أن البناء الفوقي الذي ترتكز عليه الثقافة وصناعة الإعلام يمكنه التأثير فيهما معًا ، وأن كلا النوعين من البحث ضروري لتكامل دور وسائل الإعلام .

٣- نظرية إنيس وماكلوهان وسمايث :

يعتبر كل من « هارولد إنييس Harold Innis ومارشال ماكلوهان Marchal Mcluhan ودلاس سمايث Dallas Smyth من الباحثين الأوائل الذين اهتموا بتكنولوجيا الاتصال في المجتمع . ويرجع تصنيفهم ضمن النظريات النقدية إلى ارتباطهم معا وتحليلاتهم الأدبية . وإذ يرجع الفضل إلى ماكلوهان في انتقال النظرية الثقافية النقدية إلى الولايات المتحدة خلال الستينات . أما إنيس فكان ينتمي إلى الماركسية المحدثة ، وتوازنت أفكاره وأفكار سمايث بشأن وسائل الإعلام .

ولقد نشأت أعمال إنيس بعيداً عن دراسته للتاريخ السياسي والاقتصادي لكندا، حيث كان متأثراً بالعلاقات الاتصالية (النقل والتجارة) بين كندا وأوروبا من جانب وكندا والولايات المتحدة من جانب آخر ، بل بين الكنديين أنفسهم . وقد طبق منظوره التحليلي على دراسة تطور المجتمعات في العصور القديمة الوسطى ليوضح تغيير عملية نظم الاتصال وتغيير بناء الموسسات في المجتمع، وكذلك أشكال القوى السياسية والاجتماعية وتغيير الأولويات وقيم المعرفة . وقد نظر « إنيس » إلى المعرفة بأنها ليست ببساطة عمليات مجردة من التراكمات ، ولكنها أكثر من مشهد متغير . ويتغير أساسًا وفقًا للترتيبات التكنولوجية والمؤسساتية . وقد استخدمت المجتمعات قديما الخطاب الشفوي باعتباره تكنولوجيا اتصالية كانت مختلفة بالطبع عن

التكنولوجيات التي اعتمدت أساسًا على الكتابة والطباعة أو الإعلام الإلكتروني . ويخلص إنيس من تحليله إلى أن نمط المعلومات كان ذا قيمة ويبحث ويتعلم وتعطى له الأولوية في أجندة المجتمع بالإضافة إلى اختلاف مفهوم المعرفة وبنائها من مجتمع إلى آخر إذ يتغير بناؤها تبعًا لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات السائدة (٦٨) .

أما مارشال ماكلوهان فكان دارسًا للأدب ومفتونا بالإعلام ، واهتم بالتاريخ وتأثر كثيرا بالدور التاريخي للإعلام . وركز جل اهتمامه على تكنولوجيا الوسائل ذاتها . فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية القضايا ، والجمهور الذي توجه له رسائلها يؤثران بالطبع فيما تقوله تلك الوسائل . ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال . وقد أخذ «ماكلوهان » من التاريخ ما نستطيع أن نسميه « بالحتمية التكنلوجية » Technological A Determinsm ، فكما آمن ماركس بالحتمية الاقتصادية يؤمن « ماكلوهان» بأن الاختراعات التكنولوجية الهامة تؤثر تأثيرا أساسيا في المجتمعات . ويرى أيضًا أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يمهد الطريق إلى التحولات الكبرى . ويتحدد النظام الاجتماعي إلى حد كبير من وجهة نظره بطبيعة وسائل الإعلام التي يتم بمقتضاها الاتصال ، ولا يحدده المضمون الذي تحمله هذه الوسائل . وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام لا نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات (٦٩) .

وقد ركز « ماكلوهان» على التفاعل الحادث بصفة خاصة بين الفرد وتكنولوجيا الاتصال . فقد رأى التليفزيون وسيلة حسية جذابة لا تتيح للإنسان التخيل مقارنة بالإعلام المطبوع . فالطباعة من وجهة نظره وسيلة ساخنة بينما يعتبر التليفزيون وسيلة باردة . فالأدوات الميكانيكية ساخنة والبرامج والأدوات المصنعة يدويا باردة . فالوسيلة الساخنة تشجع على الاستهلاك السلبي ، والإعلام البارد يشجع على المشاركة الفعالة . وقد استخدم « ماكلوهان » أحيانًا السخونة لوصف الوسيلة بأنها غنية بمعلوماتها وتتطلب جهداً أقل من قبل المشاركين لاستعمالها . فالراديو وسيلة ساخنة لأنه يعظم الصوت ، وأن حديث الإنسان فيه مقنن وواضح ، وتقل حجم التفسيرات المطلوبة لفهم الرسالة . ويستقبل جمهور الراديو ينبوعا من المعلومات يمر عبر الأذن إلى المخ. وعلى النقيض نجد أن جمهور التليفزيون محتوي بدرجة كبيرة ، ويتوحدون عادة مع

الصورة نفسها . وما يقال عن الراديو والتليفزيون ، ربما ينطبق على الكتب المطبوعة والمخطوطات ، فالأولى وسائل ساخنة لأنها موحدة ومتكررة ويكون الشخص قد أتقن رموز الكتابة ولديه خبرة بقرائتها . فالكتاب ينقل المعلومة مباشرة وبسرعة ، أما المخطوطة فتحتم على القارئ التأمل فيها . ويرى « ماكلوهان » أن العالم يتحول إلى البرودة بعد أن كان يتسم بالسخونة . فالتليفزيون كان بارداً بالمقارنة بالراديو ، والأخير كان بارداً بالمقارنة بالطباعة (٧٠) .

ويبدو من تحليل أفكار إنيس وماكلوهان أن هناك أوجه اتفاق واختلاف بين أعمالهما . فقد كان كل منهما لديه المقدرة على تطبيق التحليلات المقارنة بطريقة مباشرة في مجال القضايا المتشابهة . فينما كانت المجتمعات والحضارات هي وحدة التحليل عند إنيس ، كان الفرد وحده التحليل عند ماكلوهان . وعندما تحدثنا عن تكنولوجيا الإعلام رأي ماكلوهان تكنولوجيا الاتصال الجديدة امتدادا للإنسان وأداة للتغلب على كل أنواع المشاكل ، وسوف تفتح آفاقا جديدة أمام البشر وستمكننا من أن نكون في كل مكان (القرية العالمية) ولم يهتم ماكلوهان مطلقا بسيطرة الحكام على هذه التكنولوجيا والنتائج السلبية المحتملة لها . أما إنيس فقد رأي أن لتكنولوجيا الاتصال المعاصرة مجموعة من التأثيرات ، فهي عندما تقدم حلولا لبعض المشاكل الموروثة تخلق في الوقت نفسه العديد من المشاكل الجديدة . وأكد إنيس أيضًا أن هذه التكنولوجيا تنمي العلاقات الإنسانية اللاشخصية وتكبح إبداع التفكير الإنساني(٧١).

أما أعمال « سمايث » عن وسائل الإعلام ، فقد ركزت على قوة وسائل الإعلام في تقييد التفكير المستقل وقنوات الرأى العام ، ولها تأثيراتها على اختيار المستهلك والديموقراطية وحقوق الإنسان . وقد استخلص من دراسته أن الإعلام يمكن أن يكون داعما لإبداع الإنسان وليس السيطرة عليه بشرط وجود مشاركة مناسبة من قبل الجماهير في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (٧٢) .

وبالرغم من أهمية أفكار « ماكلوهان» وخاصة في حديثه عن الوسائل الساخنة والباردة ، لكن يعتبر بعض الباحثين أن موقفه العلمي مبهم وغيبي لأنه يقدم وسائل تخضع لتفسيرات مختلفة ، ولكنها تنشط التفكري فعلا. فبينما يعتبر تأكيد «ماكلوهان» على تأثير الوسيلة نفسها نافعا ومفيدا ، تبدو تأثيرات الرسالة نفسها متنوعة أكثر من الوسيلة نفسها . فالرسالة هي الرسالة والوسيلة هي الوسيلة . وكل

واحدة تؤثر في الأخرى بحيث لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى . فالأخبار في رأى بعض الناس هي الأخبار بصرف النظر عن الوسيلة التي تنقل بها إلى اناس ، على رغم أن درجة اكتساب المعلومات من التليفزيون ، إذا لم يطابق النص الصورة ، قد تقل كثيرا لأن الصورة قد تصرف الانتباه عن النص مما يقلل من درجة الفهم . وبالمثل ليس هناك دليل على أن الإدراك وجمع نقطا للضوء على شاشة التليفزيون يحدث اختلافا في التأثير ، كما أن هناك حاجة إلى إعادة التفكير في موضوع الخيال الذي يحتاج إليه أى نوع من أنواع الاتصال ، فهناك من يقول بأن قدر الخيال الذي يحتاج إليه أي نوع من أنواع الاتصال ، فهناك من يقول بأن قدر الخيال الذي يحتاج إليه ترجمة المطبوع إلى صور واقعية أكبر من ذلك الذي يتطلبه مشاهدة التليفزيون . كما أن هناك من يقول بأن غياب الصوت في الأفلام الصامتة يحتاج لخيال أكبر من الخيال الذي تحتاج إليه الأفلام الناطقة (٧٣).

ويبدو أن الانتقادات التي وجهت إلى « ماكلوهان » عديدة ومختلفة . فقد وصف النقاد الأدبيون أفكاره بأنها متنوعة ومتناقضة . واندهشوا كثيرا عندما مدح التفكير الغير المكتمل البناء (التفكير اليوتوبي) .واعتبروا كتبه عبارة عن نتاج اضطراب عقلي. ورد « ماكلوهان » على ذلك متهما النقاد بأنهم متخلفون للغاية ويرتبطون كثيرا بالمنطق والتفكير الطولي أو الخطي ، وكذلك انتقد باحثو الإعلام التجريبيون «ماكلوهان » لأسباب مختلفة ، فقد وجد معظمهم أن افتراضاته بخصوص قوة الإعلام كانت عبثا . وحقيقة كان الباحثون التجريبيون في ريب من إمكانية دور الإعلام في نقل خبرة البشر . وحتى لو كان ذلك ممكنا ، فكيف يستطيع البحث أن يعمم لدراسة ذلك بصورة منظمة . وعندما فشلت الدراسات التجريبية المبكرة تأكدت هذه الشكوك . وثبت أن أفكار « ماكلوهان » كانت فاحصة ورائعة . واتفقت آراؤه بصورة ضعيفة هي وأصحاب نظريات الماركسية المحدثة . وعلى الرغم من أنهم نظروا بعين الاحترام لـ«إنيس » وجدوا أن أفكار « ماكلوهان » تعتبر انحرافا عن مبادئ «إنيس» الرئيسية . وصنف « ماكلوهان » على أنه « مصلح تكنولوجي » ، حيث كان مؤيدا لانتظار التكنولوجيا لتقود الناس إلى « القرية العالمية» بدلا من محاولة الإصلاح الاجتماعي أو الثورة للسيطرة على الوضع القائم . فهو يرى أن مصيرنا بين تكنولوجيا الإعلام ، ونحن مجبرون لأن نذهب حيث تقودنا . ورأى الماركسيون المحدثون في هذه

النبوءة أنها شخصية تماما وتدعو إلى تطوير الأشكال الجديدة للإعلام التكنولوجي بقوة . وربما يقودنا ذلك إلى مستقبل مرير محزن وإلى كابوس القرية العالمية التي تحكم بواسطة الحكام . وهكذا سوف يبقون في السلطة طوال فترة الوجود (٧٤) .

ويستدل من تحليل أفكار إنيس وسمايث وماكلوهان أن هناك سمة أساسية تجمع أعمالهم تتمثل في الاهتمام بتكنولوجيا الاتصال في المجتمع وتأثيراتها المتباينة . فقد ربط إنيس بين تطور المجتمعات وتطور نظم الاتصال ، وأوضح أن هذه النظم تساهم في تغيير بناء المؤسسات في المجتمع ، وكذلك تغيير أشكال القوى السياسية والاجتماعية . أما ماكلوهان فقد صك مصطلح « الحتمية التكنولوجية » مؤكدا أهميتها في فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات . وأبدى « ماكلوهان» اهتماما خاصًا بعملية التفاعل الحادث بين الفردوتكنولوجيا الاتصال وهو ما عبر عنه بالوسائل الساخنة والباردة . وأما « سمايث » فعندما تحدث عن تكنولوجيا الاتصال ركز على الجوانب السلبية التي تمثلها . وأبدى اهتمامًا بالسيطرة التي تمارس على الجمهور بواسطة وسائل الإعلام من قبل الحكام .

وبالرغم من أهمية الموضوعات والأفكار التي طرحها كل من إنيس وسمايث وماكلوهان ، وجهت إليهم انتقادات عديدة . وعلى سبيل المثال فكرة « سمايث عن تطور المجتمعات وتأثير نظم الاتصال يمكن النظر فيها ، فما زالت كثير من المجتمعات ترزح تحت نير التخلف بالرغم من تملكها تكنولوجيا اتصالية متقدمة في مجال الإعلام أما فكرة « ماكلوهان» عن الوسائل الساخنة والباردة ، فقد أصبحت عديمة الجدوى بعد النتائج المذهلة التي تحققت بالنسبة للأغنية مثلا بعد انتشار الفيديو كليب وتفاعل الجمهور معها ، وفي مقابل تجاهل الجمهور للروايات الأدبية أو المسلسلات الهادفة . وأخيراً بالنسبة لـ « سمايث» فبالرغم من أهمية أفكاره وواقعيتها لا نستطيع رؤية كل ما تزودنا به تكنولوجيا الاتصال مؤثرا سلبيا في تفكيرنا .

وبعد عرض موقف النظريات النقدية من دراسة الاتصال الجماهيري نستطيع القول أن هذه النظريات حاولت تحليل وظائف وسائل الإعلام في المجتمع بطريقة واقعية . وقد برز ذلك في الهدف الذي سعت إلى تحقيقه ، حيث تهتم بالتركيز على مجموعة من القيم التي تسعى إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية ، وتولي أهمية لاستخدام الصفوة للإعلام ، وكشف أثر سيطرتهم على الثقافة وأجهزة الإعلام . وبالإضافة إلى ذلك

اهتمت بدراسة علاقة الإنتاج الإعلامي بالمشكلات الاجتماعية ، ويبدو من تحليل رواد المدارس الفكرية التي انبثقت عن النظريات النقدية إنها تشترك جميعًا في نقد وسائل الإعلام في تزييف وعي الجماهير كما ذهب « ماركيوز » ، وإبراز دور وسائل الثقافة الشخصية في خلق مسحة فردية ونمطية زائفة على المنتجات الثقافية كما ذهب «أدورنو» ، وأخيراً التأكيد على أهمية الإعلام في تشكيل الاتجاهات وتحويل المجتمعات من النظم الاستبدادية إلى النظم الديمقراطية الحرة كما ذهب « هابرماس» أما أعضاء الماركسية المحدثة، فقد انقسموا إلى مدرستين هما الدراسات الثقافية البريطانية ونظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام ، حيث ارتبطت الأولى بأفكار ومناهج بحث ناتجة عن مصادر متنوعة تضم النقد الأدبي واللغويات والأنثروبولوجيا والتاريخ ، وحاولت هذه النظرية تتبع أثر سيطرة الحكام على الثقافة ومحاولة اقتفاء أثرهم . وقد ساهم « جرامشي » في هذه المدرسة بتطويره لمفهوم « السيطرة» ؛ إذ يرى أنها لا تعني ببساطة فرض شيء معين فقط ، ولكن تظهر في نجاح طبقة معينة في إقناع الطبقات الهامشية بقبول الثقافة المسيطرة ، وفي الوقت نفسه تتشربها وتتبناها . واهتم « اسيتورت هول » بتحليل وظائف وسائل الإعلام ، وأوضح أنه يمكن فهمها كمنتدى عام تكافح فيه قوى مختلفة لتشكيل الأفكار الشعبية عن حقيقة المجتمع . وبالإضافة إلى ذلك أنتجت الدراسات الثقافية البريطانية أبحاثًا متنوعة عن محتوى الإعلام الشعبي ، بل وأثرت في الأبحاث الأمريكية .

أما نظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام ، فقد اهتمت ببحث أثر سيطرة الحكام على المؤسسات الاقتصادية كالبنوك والأسواق ، وتأثير هذه السيطرة على مؤسسات اجتماعية أخرى بما فيها وسائل الإعلام . ويهتم الاقتصاديون السياسيون أيضًا بدراسة دور الاقتصاد في تشكيل الثقافة التي تنتجها وسائل الإعلام .

وأخيراً بالنسبة لنظريات إنيس وماكلومان وسمايث ، فقد اهتموا جميعًا بتأثير تكنولوجيا الاتصال في المجتمع . فقد ربط إنيس بين تطور المجتمعات وتطور نظم الاتصال . وركز ماكلوهان على أننا لا يمكن النظر إلى مضمون وسائل الإعلام في تقييد التفكير المستقل ، وكذلك على اختيار المستهلك والديمقراطية .

ويمكن القول أن النظريات النقدية ساهمت بشكل فعال في دراسة الاتصال الجماهيري ، من خلال رؤيتها النقدية للدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع،

إلا أن هذا الإسهام لا يمنع من وجود بعض الانتقادات والثغرات التي وقعت فيها هذه النظرية . وعلى سبيل المثال لقد وجهت إليها انتقادات من قبل الوضعيين والماركسيين ، حيث رأى الوضعيون أنها تأمل فارغ ، وليس لها أساس صلب في الواقع؛ إذ لا يمكن اختبارها ومن ثم إثباتها أو دحضها وفقًا لمعيار مستقل ، وهي غالبًا مصاغة بمصطلحات غامضة عمدا لا تعبر عن أصالة في الفكر أو صعوبة في المسائل المتناولة . أما الماركسيون فينظرون إلى النظرية النقدية بأنها تمثل عودة إلى الفلسفة التقليدية المثالية الألمانية . ولذلك فهي لا تستطيع أن تقدم لنا معرفة عن الواقع أو تحليلاً للبنى الاجتماعية الفعلية. ومن بين الانتقادات التي وجهت أيضًا إلى مدارس النظريات النقدية ، ذلك النقد العنيف الذي تعرضت له أفكار « ماكلوهان» ، حيث وصف النقاد الأدبيون أفكاره بأنها متنوعة ومتناقضة ، واعتبروا كتبه عبارة عن نتاج اضطراب عقلي.

خاتمة الدراسة: الاستخلاصات والنتائج العامة

حاولت هذه الدراسة منذ البداية تعرف مدى إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري باعتبار أن هذا الموضوع لم يلق اهتماما كافيًا لدى الباحثين . وقد تطلبت الإجابة على هذا السؤال الإجابة على مجموعة من الأسئلة الفرعية التي ترتبط بهذا الموضوع . إذ ناقشنا مسألة استقلال ميدان الاتصال الجماهيري كعلم بذاته عن العلوم الاجتماعية الأخرى ، حيث برزت آراء مؤيدة لهذا التوجه وأخرى معارضة . وركزنا أيضًا على إسهامات نظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري ، سواء أكانت من خلال النظريات البنائية الوظيفية أو النظريات النقدية . ويمكن عرض خلاصة الآراء والمناقشات التي انتهت إليها الدراسة بصدد هذه القضايا في النقاط التالية :

١- أظهرت الدراسة تباينا واضحًا في الآراء بشأن الدعوة إلى استقلال الاتصال الجماهيري؛ إذ أشارت الآراء المؤيدة إلى حدوث تطور كبير في مجال دراسته سواء أكانت على مستوى النظرية أو المنهج أو مجالات تدريسية في الجامعات ، بل على مستوى الممارسة العملية وتأثيره الواضح في المجتمع . أما الآراء المعارضة ، فقد ذهبت إلى القول بأن ميدان الاتصال الجماهيري لم يتطور بعد إلى الحد الذي يمكن أن يعد ميدانًا علميًا مستقلاً بذاته . ويرون أن الدراسة في بحوث الاتصال وعملياته لابد أن تتم بفريق متكامل من المتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية وبعض العلوم الطبيعية. ويدلل الباحثون على صحة آرائهم بعدم وجود إطار نظري محكم حتى الآن لعلم الاتصال يضفي مشروعية استقلاله ، فضلاً عن أنه لم يتماسك بعد بواسطة مجموعة من المفاهيم المتطورة أو هيكل من الفروض المترابطة أو صياغة إطار تفسيري شامل . ويميل الباحث إلى وجهة النظر الأخيرة ، وذلك للدور الذي تقوم به وسائل الاتصال الجماهيري ، حيث تعكس طبيعة البناء الاجتماعي والقيم الاجتماعية ، في الوقت الذي تقوم فيه بدورها في عمليات التغيير الاجتماعي. فضلا عن أن طبيعة المواد التي تعرضها وسائل الإعلام لا يمكن تفسيرها وتحليلها بواسطة علم بعينه ، إذ يجب تداخل تخصصات عديدة ي دراستها .

٢- أبرزت نتائج الدراسة وجودعلاقة وثيقة تربط علم الاجتماع بالاتصال الجماهيري ، حيث كانت نظرية « المجتمع الجماهيري » هي أول نظرية اجتماعية استندت عليها

الدراسات الإعلامية . وبالرغم من الانتقادات العديدة التي وجهت إلى هذه النظرية، كانت وما زالت تؤثر تأثيراً فعالاً في تشكيل وجهات نظر الباحثين في هذا المجال حول المغزى الاجتماعي للاتصال الجماهيري . وتبرز العلاقات التي تربط أيضًا علم الاجتماع بالاتصال الجماهيري من خلال تتبع البدايات الأولى لبحوث الاتصال في الولايات المتحدة ؛ إذ ارتبطت بأعمال علماء كبار مثل « تشارلز كولي» و« جورج هربرت ميد » و« بوبرت بارك » . أما البحوث المتخصصة في هذا المجال فقد ارتبطت بإسهامات كل من « هارولد لازويل » و« وبول لازر سفيل» و« كورت ليفن » و« كارل هو فلاند » . ويعتبر كولي « أول من أبرز الأهمية الاجتماعية للاتصال الإنساني في كتابه المنشور عام ١٩٠٩ . أما « ميد » فقد صاغ نظريته في الثلاثينات من القرن العشرين وركز على أهمية الوسيلة كأداة تفاعل . وقد اهتم « لازويل » بإجراء بحوث تحليل المضمون حول ما تبثه وسائل الإعلام . وركز « لازر سفيلد » على بحث آثار الاتصال الجماهيري ، وقد برز ذلك في تحليلاته للانتخابات الأمريكية ودراسة العلاقة بين التأثير الشخصي وتأثير وسائل الإعلام على الاتجاهات الفكرية والسياسية . واهتم « هوفلاند » بدراسة آثار المضامين الدعائية التي تبثها وسائل الإعلام ودورها في تغيير الآراء النظرية .

٣- اهتمت البنائية الوظيفية بالإعلام باعتباره نسقًا من الأجزاء المرتبطة ، وتكمن الوظيفة الأساسية له في ربط أجزاء المجتمع وضمان وجود التكامل الداخلي بين أعضائه . واعتبرت الإعلام إدارة ذاتية هامة وتصحح نفسها في إطار سياسة معينة وقواعد مؤسساتية . ونظهر خصوصيتها في موضوعيتها وتطبيقاتها . ولعل من أبرز إسهامات علماء الاجتماع الوظيفي ، الدراسات التي اهتمت بتحليل وظائف وسائل الإعلام في المجتمع عند بارسونز و« رايت » و« ديفلير» وهيامان ودراسات التأثير الاجتماعي لوسائل الإعلام عند كلمان ودراسات الإقناع عند « جنز» . ولقد كشف علماء الاجتماع الغربيون عن اهتمامهم بدراسة الصحافة كقوة اجتماعية ، فأعد « تيشمان» دراسة على المؤسسات الصحفية . وقام كل من « مولتوش » و« ليستر» بدراسة الأخبار باعتبارها سلوكا مقصودا . وركز «جانز » على صناعة الأخبار الأمريكية و« توشمان» و« شيدوسون » على التقارير الموضوعية في تاريخ صحافة أمريكا الشمالية . كما أبدى علماء الاجتماع الوظيفيون اهتماما ملحوظًا

بدور التليفزيون في المجتمع فأجرى لايول دراسة عن الاستخدامات الاجتماعية للتلفزيون ، واهتمت دراسة « تراكي » وشليسينجرأخبار التليفزيون البريطاني ، وركز « جونستون» على قيم التقارير الإخبارية واتجاهاتها . وأبرزكل من « فرنش وريفر» اهتماماً بدراسة ظاهرة تأثير الإعلام في الغرب ، هذا بالإضافة إلى الاتجاهات التي بدأت تستخدم نظرية الاستخدامات والإشباعات .

٤- أبرزت الاتجاهات النظرية التي انبثقت عن البنائية الوظيفية اهتماماً ملحوظًا بدراسة الإعلام . فقد اهتمت التفاعلية الرمزية بتعريف الاتصال باعتباره « سلوكًا رمزيًا ينتج بدرجات مختلفة لمعايير وقيم مشتركة بين المشاركين » . واعتبرت الاتصال شرطًا أساسيًا لحدوث التفاعل الاجتماعي ، ويعد المصدر الأول للخبرة غير المباشرة . ويبرز دوره في توجيه الفرد وتعريف بيئته وإدراك مجتمعه . أما أصحاب الاتجاه الفينومينو لوجي فقد حاولوا استخدام وسائل الإعلام في تفسير واقع الحياة اليومية. واهتموا بدراسة تركيب المعنى عند الإنسان ، والعلاقة بين كل من اللغة والمواقع . ويرون أنه بإمكان الشخص الحصول على معاني المفاهيم إما عن طريق الاتصال الحسي المباشر بالنواحي المختلفة للواقع ، أو من خلال التفاعل الرمزي بين الجماعات التي تستخدم اللغة . وأخيراً اهتمت نظرية تحليل الثقافة بدور الإعلام في تشكيل الثقافة ، وذلك بما له من تأثير واضح في تشكيل الواقع الاجتماعي وتغييره. واتجهت هذه النظرية إلى دراسة الوحدات الصغرى ، والتركيز على نمط استخدام الناس للوسيلة ، وجعلهم يحسون بأنفسهم والعالم من حولهم ، والكشف عن النتائج المترتبة على استخدام وسائل الإعلام في حياتنا اليومية .

٥- أبرزت الدراسة وجود اهتمام واضح من قبل علماء الاجتماع الذين ينتمون إلى الاتجاهات النقدية بدراسة الإعلام ، حيث سعى أصحابها إلى التركيز على دراسة الوحدات الكبرى ، والاهتمام بالنظام ككل . ويولون أهمية كبرى لاستخدام الصفوة للإعلام ، وكشف أثر سيطرة الحكام على الثقافة وأجهزة الإعلام ومحاولة اقتفاء أثرهم . ولقد أصبحت وسائل الإعلام والوسائل الثقافية مجال اهتمام هذه النظريات . فقد اهتمت بعلاقة الإنتاج الإعلامي بالمشكلات الاجتماعية . وركزت على قضايا القوة والصراع والتغيير . واهتمت بمفاهيم الثقافة وإمبريالية الإعلام والعولمة ؛ إذ يعتبرون الإعلام قوة موجهة ، ويهدف في النهاية إلى فهم الواقع الاجتماعي .

٦- أبدت الاتجاهات النظرية التي تفرعت عن النظريات النقدية اهتمامًا واضحًا بدراسة الإعلام ، ويتمثل ذلك في إسهام أعضاء مدرسة فرانكفورت في نقد وسائل الإعلام والتحليل النقدي للثقافة . فقد اهتم « أنورنو » و« هوركهايمر» بدراسة الاتصال والسيطرة الثقافية ، باعتبار أن الإعلام يمثل عاملاً أساسيًا في صناعة الثقافة وتوجيهها . وأشارت دراسات هربترت ماركيوز » إلى دور الإعلام في تشكيل إنسان أحادي البعد . واهتم هابير ماس بالنظر إلى الإعلام باعتباره أداة نقدية للرأى العام ، ويعتبر سمة أساسية للديمقراطية المعاصرة . أما إسهام الماركسية المحدثة في دراسة الإعلام ، فيبدو من خلال الدراسات الثقافية البريطانية ونظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام . فقد أبدى « جرامشي » اهتمامًا واضحًا بمفهوم «السيطرة» . وذكر أن الطبقات المسيطرة تستخدم الثقافة الجماهيرية في إقناع الطبقات الأخرى من خلال صناعة الإعلان . واهتم « ستيورت هول » بتحليل وظائف وسائل الإعلام . وأنتجت الدراسات الثقافية البريطانية أبحاثا متنوعة عن محتوى الإعلام الشعبي ؛ إذ يعتبر عمل جانيس رادوي » اتجاها هامًا في الدراسات الثقافية النقدية . أما نظرية الاقتصاد السياسي في الإعلام ، فقد اتجهت إلى الاهتمام ببحث التحليلات الإمبيريقية لبناء الملكية وأسلوب قوى السوق الإعلامي .وتعتبر المؤسسة الإعلامية جزءا من النسق الاقتصادي مع ضرورة الارتباط بالنسق السياسي. ويمارس الإعلام هيمنة كبيرة على المعرفة والمجتمع عمومًا . وأخيرا اهتمت نظريات إنيس وسمايث وماكلوهان بدراسة تكنولوجيا الاتصال في المجتمع وتأثيراتها المتباينة .

٧- أظهرت نتائج الدراسة أنه بالرغم من الإسهامات الواضحة لنظريات علم الاجتماع المعاصرة في دراسة الاتصال الجماهيري ، إلا أنه قد وجهت إليها بعض الانتقادات . فقد وجدت أوجه قصور في الافتراضات النظرية التي استندت عليها النظريات البنائية الوظيفية ؛ إذ برز التباين الواضح بين هذه الافتراضات والواقع الفعلي لدور وسائل الإعلام في المجتمع فضلا عن المشاكل المنهجية التي تتمثل في صعوبة قياس عمليات التأثير من خلال الدراسات الإمبريقية . وأبرزت نتائج الدراسة أيضًا وجود بعض الانتقادات التي وجهت للنظريات النقدية في دراسة الاتصال الجماهيري . إذ يرى علماء الاجتماع الوظيفيون أن هذه النظريات لا يمكن

اختبارها ومن ثم إثباتها أو دحضها وفقًا لمعيار مستقل . ورأى الماركسيون أنها لا تستطيع أن تقدم لنا معرفة عن الواقع أو تحليلاً للبنى الاجتماعية الفعلية .

وفي النهاية يمكن القول أنه ما زال ميدان الاتصال الجماهيري بحاجة إلى تخصصات عديدة كي تبرز فاعليته ،وتكتمل وظيفته ، ويستفيد من التنوع ، وبالتالي يكون قادرا على مواكبة المستجدات . وحتى لا يكون ضحية أطر توجهات علمية أحادية الجانب وإن كنا نميل إلى زيادة ارتباط الاتصال الجماهيري بالعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع تحديداً ، حيث شكلت نظريات علم الاجتماع المعاصرة دعمًا أساسيًا لدراسات الاتصال الجماهيري بالرغم من الانتقادات التي وجهت إليها .

هوامش المراجع

1- Denis McQuail , madss Communication Theory-An Introduction , SAGE publication , Second Education , London , 1988, p : 52.

2- Ibid . , p : 5.

3- Denis McQuail , mass Communication and the public interest : Towards Social Theory for media structure and performance in : David crowlry , David Mithchell , Communication Theory today , polity press , London , 1994 , pp : 243- 245.

(٤) د. محمد محمد البادي ، **علوم الاتصال الجماهيري واستقلالها** ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، سبتمبر ١٩٩٨، ص : ٢٤٥- ٢٦٨.

(٥) نقلا عن د. محمد محمد البادي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

(٦) زيلبرمان وكروجر ، **سوسيولوجيا الاتصال** ، عرض د. محمد الجوهري في : د. محمد الجوهري وآخرون ، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٩٩٢، ص : ٦.

(٧) د. سامية محمد جابر، **الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث- النظرية والتطبيق** ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٩٩٦، ص ٢٠: ١٩.

(٨) ملفين ، ل ديفلير ، ساندرا بول روكيتش ، **نظريات وسائل الإعلام** ،ترجمة كمال عبد الرءوف ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٢، ص : ٣١٩- ٣٧٢.

(٩) د. جيهان رشتي ، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص : ١٩٨- ٢٣٨.

(١٠) زيلبرمان وكروجر ، مرجع سابق ، ص : ١٣: ١٤.

(١١) د. صالح خليل أبو إصبع ، **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة** ، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٢، ص : ٦٢: ٩٥.

(١٢) د. فلاح كاظم المحنة ، **علم الاتصال بالجماهير** ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٩ ، ص : ٣٨٤: ٤٤١.

(13) Denis McQuail , Aspedts of modern sociology communication , longman , New Yourk , 1984.

(14) John B . Thompson , **Social theory of Communication** , in : David crowley and David Mitchell , Communication theory Today , polity press , U.K . 1995, p : 27- 49.

(15) John Downing , **internationalizign media theory - Transilition , power culture ,** SAGE publication , London , 1996, pp : 178- 246.

(١٦) د. محمد عبد الحميد ، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧، ١٢٥- ١٦٢.

(١٧) د. سامي عبد الرءوف طايع ، **بحوث الإعلام بين الماضي والحاضر** ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٧- ٢٣٠.

(١٨) د. حسن عماد مكاوي ود. ليلى حسين السيد ، **الاتصال ونظرياته المعاصرة** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٨، ص : ١٠٩- ١٤٢.

(19) Denis McQuail , **Aspects of modern sociology communication ,** op . cit . p : 222- 224.

(20) Denis McQuail , **Mass communication theory** , op . cit . , pp: 68, 69.

(21) Sven windahl and Benno H . Signature with Jean T. Olson , Msing **Communication theory ,** SAGE publication , London , 1995, p : 86.

(22) John Downing op . cit . , p : 194.

(23) Ibid . , p : 195.

(24) Denis McQuail , **Mass communication Theory ,** op . cit ., pp : 69, 70 .

(٢٥) تعددت مسميات هذه النظرية حتى جاء « هربتر بلومر » وصك » مصطلح « التفاعلية الرمزية Symbolic interactionism بدلا من الاسم القديم لها » علم النفس الاجتماعي » . وقد اعتقد علماء النفس الاجتماعي أن البيئة الاجتماعية تلعب دورا هاما في عملية التعلم . وقدم « جورج هربرت ميد » الفيلسوف والاجتماعي النشط بجامعة شيكاغو طريقة لفهم الحياة الاجتماعية . وأوضح أن الطريقة المثلى لكي نفهم كيف يتعلم الناس هي أن نرى كيف يتعلم الناس لعبة كرة السلة أو أي رياضة جماعية . وبالتأكيد تعلم هذه اللعبات لا يتم بقراءة كتب خاصة بنظرية اللعب ، ولا من خلال المنبه والاستجابة المشروطة . ويرى « ميد » أن فريق كرة السلة أو أي فريق جماعي يمثل وحدة صغيرة لعالم صغير من خلال التفاعل مع الآخرين . فالهدف ليس احتكار الآخرين أو السيطرة عليهم ، بل خلق أو إحداث وحدة اجتماعية فعالة . ونحن نتعلم الأدوار الاجتماعية من خلال التفاعل وخبرات مواقف الحياة اليومية .

ولا يعد تجانس فريق كرة السلة مثالا يساعد على فهم تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة . فاللاعبون يتفاعلون مع بعضهم مباشرة ، لكن ماذا يحدث عندما يكون هناك اتصال بوسائل الإعلام ؟ فيمكن أن تقدم هذه الوسائل معلومات كثيرة إلى جماعات من الناس المماثلين الذين يستخدمون أجهزة الكمبيوتر كوسيلة للتفاعل. وهكذا يؤكد أصحاب التفاعلية الرمزية أن أفعالنا تستجيب إلى رموز معينة . ولذلك يرتبط فهم الشخص وعلاقاته بواقعه الفيزيقي وبيئته الرمزية . فالعقل والذات والمجتمع كلها متداخلة . والمعاني هي التي تعطينا إشارات وتحدد لنا رموزا وتفسر لنا الواقع : - لمزيد من التفاصيل انظر :

Stanley j . Baran , Dennis K . Davis , **Mass communication theory - Foundations , - Ferment and future** , Wadsworth publishing company , California , 1995, pp : 287- 289.

(26) Ibid . , p : 290.

(27) Ibid . , p : 290.

(٢٨) ملفين . ل . ديفلير وساندرا بول روكيتش ، مرجع سابق ، ص : ٣٥١.

(٢٩) ملفين ديفلير ، ساندرا بول روكيتش ، مرجع سابق ، ص : ٣٤٥.

(٣٠) المرجع السابق ، ص : ٣٤٧.

(٣١) الفينومينولوجيا هي مذهب فلسفي يرى أننا لا نتمكن من معرفة الحقيقة أو الواقع الفعلي أو الطبيعة النهائية للأشياء ،بل ندرك مظاهرها فقط . ولهذا يمكننا أن نعرف الأشياء كما تبدو لنا من خلال حواسنا . وقد اتخذت فينومينولوجيا شوتز » موقفا نقديا معارضا من الوضعية وأشكالها الحديثة ، فهي تعارض الاتجاه الكمي ونزعة التجريد ، وتتجه نحو دراسة الحياة اليومية ، ودراسة علاقات التفاعل بين الأفراد من وجهة نظر الأفراد أنفسهم :-

لمزيد من التفاصيل انظر : -

د. محمد عطاف غيث ، **قاموس علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦، ص : ٣٢٨.

ود . أحمد زايد ، **علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية** ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٤، ص : ٣٨٩ وما بعدها .

(32) Stanley J. Baran , Dennis K. Davis , op cit . , p: 310.

(33) Ibid . , 311.

(34) Ibid . , pp : 291- 292

(٣٥) ملفين . ديفلير وساندرا بول روكيتش ، مرجع سابق ، ص : ٢٥٩، ٢٥٨.

(36) Stanley J . Baran , dennis K. Davis , op cit . pp : 291: 292.

(37) Ibid . , p : 282.

(38) Stanley J . Baran , Dennis K . davis , op . cit . p : 280 .

(39) Jan Servces , Rico lie , **Toward amore interpretative communication research framework : television as culture system :** An interpretation of Clifford Geertz **.http: www. unisa . ac .za/ dept / press / comca / 221/ servaes . htm.**

(40) Stanley J . Baran , Dennis K. Davis , op cit p : 281.

(41) Ibid , p : 281.

(42) Nicholas w . Jan Kowski and Fred wester , **The qualitative tradition in social science inquiry : contrubitation on to mass communication research ,** In : Klaus bruhan jensen and nicholas w-jan Kowski , A Hand Book of qualitative methdologies for mass communication research , london , 1991,pp : 53,54.

(٤٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القنوات الفضائية العربية في خدمة الثقافة العربية الإسلامية ، تونس ، ١٩٩٨، ص ١١- ١٠١.

(44) Stanley j . Baran , Dennis K . Davis , op . cit . , p : 281.

(45) Ibid . , p : 276 .

(46) John Downing , op cit . , p : 199.

(47) Denis McQuail , Mass communication theory , op . cit . , p:63.

(48) Stanley j . baran , Dennis k . Davis , op . cit . , p : 318.

(49) Ibid . , p : 319 .

(٥٠) ظهرت مدرسة فرانكفورت إلى حيز الوجود سنة ١٩٢٣من خلال أعمال بعض المثقفين الذين كانوا يعملون في معهد البحوث الاجتماعية بفرانكفورت ، غير أن النشاط الأكاديمي الحقيقي لهؤلاء المثقفين قد ظهر بعد تولي « هوركهايمر » و« تيودورأندورنو » و«جورجيان هابيرماس» . وعلى الرغم من أن فلاسفة مدرسة فرانكفورت قد اتخذوا موقفا مناهضا من النظرية الوضعية ، إلا أن انتقادهم لعلم الاجتماع جاء في صورة غير مباشرة . وقد برزت إسهامات مدرسة فرانكفورت في الثقافة « لكل من « تيودور أدورنو» و« هوركهايمر »و ، و« نظرية الفعل الاتصالي » لصاحبها « هابيرماس » ، بالإضافة إلى أعمال الأخرى للمفكرين الذين انضموا إلى هذه المدرسة بعد ذلك .

لمزيد من الإيضاح انظر :

- فيل سليتر ، مدرسة فرانكفورت ، ، نشأتها ومغزااها ، ترجمة خليل كلفت ، المجلس

الأعلى للثقافة القاهرة ، ٢٠٠٠.

- Daniel Chandler , Marxist Media Theory :

.,, **WWW. aber . ac . uk / media / Documents / marxism / marxism 08. htm.**

- د محمد علي محمد ، **تاريخ علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٩٨٤.

- د. السيد الحسيني ، **نحو نظرية اجتماعية نقدية** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥.

(51) Denis McQuail , Mass communication theory . op . cit . , p . 65.

(52) Daniel Chandler , op . cit . ,

(53) Stanley j . Baran , Dennis K. Davis , op . cit . , p : 320.

(٥٤) إيان كريب ، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابيرماس** ، ترجمة د. محمد حسين غلوم ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، إبريل ١٩٩٩، ص : ٣٢٦.

(55) Mass media : cultural effects , **http : www . soft . net . UK / cultsock / MU Home / cshtml / media / hegdet . html / .**

(56) John Downing , op . cit . , p : 207.

(57) joel Anderson , **The " Third - Generation " of the Furt school , intellectual history ,** newsletter , **http : .. artsci . Uoustl . edu /. critical theory** 3rd Generation . html/.

(58) The internet and the Theories of jurgen habermas , **http : soc www. cwm . edu / alp 5 / habermas . htm/**

(٥٩) د. عبد الباسط عبد المعطي ، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، أغسطس ١٩٨١، ص ٢٠٨.

(60) Stanly j . Baran , Dennis k . Davis , op . Cit . , p : 222

(61) Daniel Chandler , Marxist Media Theory , **,www. aber . ac . uk / emdia / Documents / mkarxism / marxism 08. htm**

(62) Reena mistry , can Gramsci's theory of heegemony help us to understand the representation of ethnic minorities in western television and cinema ? **http :// www. Theory . org . UK/ ctr - ro 16.htm.**

(63) Stanley J . Baran , Dennias K. Davis , op . cit . , pp : 222,223

(64) Denis McQuail , **Mass communication Theory ,** op . cit . p : 64.

(65) Ibid . , pp : 64, 65.

(66) Stanley j . Baran , dennis k . Davis , op . cit . , p : 325.

(67) Ibid . , p : 352.

(68) William Melody , **Electronic Networks , social relations and the changing structure of knowledge ,** in : David Crowley and David mitchell , communication theory Today , polity press , U.K 1995, pp . : 257, 285.

(٦٩) د. جيهان رشتي ، مرجع سابق ، ١٩٩٢، ص : ٣٧٢.

(70) Cary wolf , the wisdom of saint marchall - the Holy fool , Uired Digital , Inc 1996. **http : // www. wired . com / wired / archive / 4.01/ sainl . Marchal - pr . htm / .**

(71) William Melody , op . Cit , p : 258.

(72) Ibid . , p : 257.

(٧٣) د. جيهان رشتي ، مرجع سابق ،ص ٣٩٥.

(74) Stanley j . Baran , dennis k . Davis , op . Cit . , pp : 328,329.